

سلسلة تهذيب كتب الإمام ابن قيم الجوزية (٢)

تهذيب
الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب

للإمام العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية

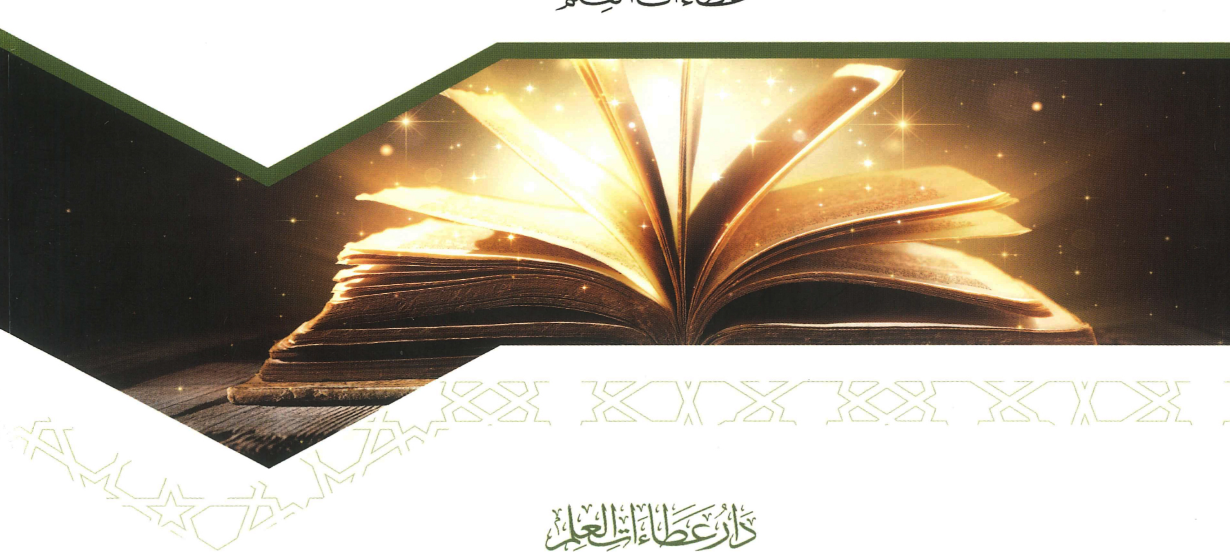
(٦٩١ - ٧٥١هـ)

إعداد

د. سلطان بن ناصر النّاصر

إشراف

عطاءات العلم



دار عطاءات العلم



سلسلة تهذيب كتب الإمام ابن قيم الجوزية (٢)



للإمام العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية

(٦٩١ - ٧٥١هـ)

إعداد
د. سلطان بن ناصر الناصر

إشراف
عطاءات العلم

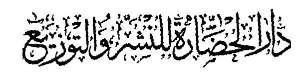
ح مؤسسة عطاءات العلم للنشر، ١٤٤٢هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الناصر، سلطان بن ناصر
تهذيب الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب/ سلطان بن ناصر الناصر-
الرياض ١٤٤٢هـ
ص؛ ٠٠/ ..سم
ردمك: ٧-١٩-٨٣١٤-٦٠٣-٩٧٨
١- الأدعية والأذكار ٢- الحديث - مباحث عامة أ- العنوان
ديوي ٢١٢,٩٣ ١٤٤٢/٩٢٦٢

أحد مشاريع



هاتف: ٩٦٦١١٤٩١٦٥٣٣+
فاكس: ٩٦٦١١٤٩١٦٣٧٨+
info@ataat.com.sa

الطبعة الأولى
١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م



المملكة العربية السعودية - الرياض
daralhadarah@hotmail.com
الرقم الموحد: 920000908 الفاكس: 2702719 - 011
0551523173 @daralhadarah
زوروا متجر الحضارة
daralhadarah.net


بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمَّد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد؛ فإن «**عطاءات العلم**» بيت خبرة في تطوير البرامج العلمية الشرعية ورعايتها، وتمكين العاملين فيها، وهي تسعىٰ إلىٰ الارتقاء بالجهات والبرامج العلمية الشرعية بطريقة منهجية، وصولاً لتحقيق مقاصد الشريعة وترسيخ القيم الإسلامية.

لقد نهضت «**عطاءات العلم**» منذ تأسيسها بعدة مشاريع نوعية وفق منهجية احترافية صممتها خصيصًا لصناعة المشاريع العلمية الشرعية؛ بين دراسات علمية محكّمة، ونصوص تراثية محققة، وبرامج تطويرية متخصصة، وموسوعات علمية إلكترونية متميزة، وسلسلة إصدارات كوكبة من الأئمة الأعلام، وغيرها من المشاريع والبرامج ذات الأثر العظيم والنفع العميم.

ولما كانت خدمة العلم الشرعي ونشره وتوريثه للأجيال المتعاقبة مما يجدر بأهل الإسلام الحرص عليه، أَوْلَتْهُ «**عطاءات العلم**» عنايتها واهتمامها، فاحتضنت لأجله أحد مشروعاتها النوعية، وهو مشروع تحقيق آثار العلماء ونشرها، ومنها آثار الإمام ابن قيم الجوزية، رحمه الله تعالىٰ، وذلك بطباعتها وتحقيقها تحقيقًا علميًّا لائقًا؛ بتوفير أفضل نسخها الخطية في العالم، ومقابلة نصوصها، وتحريرها، والتعليق عليها بما يخدمها ويوضّح مقاصدها، وكتابة مقدمات تعرّف بكل كتاب وتكشف مزاياه، وصُنْع فهارس كاشفة مفصلة لعلومه وخباياه، في عمل علمي مبارك، ابتدأ منتصف عام ١٤٢١هـ بإشراف الشيخ العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد، وتمويل مؤسسة الشيخ سليمان الراجحي الخيرية، واستمر نحو عشرين عامًا حتىٰ

سنة ١٤٤١هـ فنفع الله به من شاء من عباده في مختلف بلدان العالم.

وحين انتهىٰ العمل من نشر هذه الكتب العلمية النافعة باتت الحاجة ماسة إلىٰ تقريب عيون هذه الكتب وتهذيبها واختصارها بمنهج علمي محكم، يسهم في توسيع دائرة الاستفادة من علومها وفوائدها لعموم القراء الذين قد يحول بينهم وبين الانتفاع بها استطراد المؤلف وإسهابه في تقرير المسائل والرد علىٰ المخالفين ونحو ذلك، كما يستفيد منها المتخصصون في العلوم الشرعية الراغبون في خلاصات جامعة لأفكار الكتب لغرض المراجعة والاستذكار.

ويطيب اليوم لـ«**عطاءات العلم**» أن تقدم لأهل العلم وطلابه والحريصين علىٰ تراثه هذا المشروع العلمي الجديد في تهذيب نخبة من مؤلفات الإمام ابن قيم الجوزية، رحمه الله تعالىٰ، وهو مشروعٌ علمي مبارك نهض به فكرةً وإعدادًا فضيلة الشيخ الدكتور سلطان بن ناصر الناصر (عضو المجلس الإشرافي لعطاءات العلم) وتولت «**عطاءات العلم**» الإشراف عليه تتميمًا ومراجعةً وتوثيقًا وصفًّا وإخراجًا.

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن ينفع بهذه الإصدارات العلمية المهذبة كما نفع بأصولها، وأن يبارك فيها وينفع بها الأمة، ويجزل الأجر ويعظم المثوبة للشيخ سليمان بن عبد العزيز الراجحي ومؤسسته الخيرية، علىٰ رعايتها المباركة التي أثمرت هذا المشروع وأصله، ولفضيلة الشيخ الدكتور سلطان بن ناصر الناصر وجميع المشاركين فيه، ويجعله من العلم النافع الذي يستمر ثوابه ولا ينقطع.

والحمد لله أوَّلًا وآخرًا.

وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمَّد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

عطاءات العلم

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين، ومن تبع هداهم واقتفىٰ سننهم إلىٰ يوم الدين.

أما بعد: فإن الإمام الحافظ أبا عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بـ«ابن قيم الجوزية» - المولود سنة ٦٩١ والمتوفىٰ سنة ٧٥١ هـ - رحمه الله تعالىٰ، من أعلىٰ أهل العلم مرتبة في جودة التصنيف وكثرة التأليف، وقد أسبغ الله علىٰ كتبه من النضارة وجمال العبارة ما بهر عقول العلماء؛ لما فيها من استقصاء أصول المسائل وآثارها، وإبراز مقاصد الشريعة وأسرارها، فصار لها من القبول والانتشار والأثر ما هو لائق بتلك العلوم والفوائد والدرر.

ولما كانت مؤلفات هذا الإمام الجليل زاخرة بالتحقيقات العلمية، والتجليات الإيمانية التي تعظُم حاجة الناس إلىٰ مداومة النظر فيها علىٰ اختلاف مستوياتهم المعرفية، فضلًا عن طلاب العلوم الشرعية، والتي قد يحول دون قراءتها ورودها بين أمواج بحر تقريراته وردوده ذات النفس الطويل، ظهرت الحاجة لتقريب مصنفاته بتقديم تهذيبات علمية مركزة لمباحثها وأفكارها، دون ما فيها من الاستطرادات التي لا تكون محل اهتمام لدىٰ غير المختصين بموضوعاتها، فجاء هذا العمل محققًا لتلك الغاية الشريفة، خدمةً لعموم المسلمين وخاصتهم، سواء منهم من لم يتسنَّ له قراءة الأصل، أو من أراد تكرار النظر في زبدة ذلك الأصل، وجاريًا علىٰ طريقة

أهل العلم في اختصار التصانيف وتهذيبها، وذلك من أغراض التأليف ومقاصده المشهورة، كما عبَّر عنه ابن خلدون في مقدمته بقوله: «أن يكون الشيء من التآليف التي هي أمهات للفنون مطولًا مسهبًا، فيقصد بالتأليف تلخيص ذلك بالاختصار والإيجاز وحذف المتكرر إن وقع».

وقد جرى العمل في التهذيب وفق منهج يتلخص فيما يلي:

١- إثبات ألفاظ المؤلف بدون تصرف فيها، ولا زيادة عليها.

٢- المحافظة علىٰ ترتيب ورود النصوص في الأصل بدون تقديم أو تأخير.

٣- الاقتصار علىٰ صلب الفكرة المقصودة، وحذف الاستطرادات، مع الحرص علىٰ إظهار السياق علىٰ نحوٍ متسق.

٤- الاختصار في عرض الأقوال والأدلة والنقاشات والتعريفات ونحوها.

٥- إثبات جميع عناوين الأبواب والفصول ولو كان المحذوف فيها كثيرًا.

٦- إبراز بعض الفوائد والعبارات الصالحة للانتقاء والاقتباس، وذلك بتحبيرها باللون الأحمر.

٧- وضع قائمة في آخر التهذيب بالفوائد والعبارات المنتقاة التي وردت في الأصل، ولم تثبت في التهذيب نظرًا لعدم ملاءمتها للسياق، لورودها في نصٍّ لم يطابق شرط التهذيب.

٨- الاعتماد علىٰ النص المحقق في الإصدارات العلمية المتقنة التي تولت نشرها والإشراف عليها «عطاءات العلم».

وقد تكرمت «عطاءات العلم» - جزاها الله خيرًا - بخدمة التهذيب بما يلي:

١- تخريج الأحاديث تخريجًا مختصرًا من حواشي الأصل.

٢- شرح الألفاظ الغريبة شرحًا مختصرًا مستفادًا من حواشي الأصل.

٣- وضع عناوين جانبية للموضوعات في بداية الفصول.

٤- وضع أرقام صفحات الأصل علىٰ هامش الصفحات الأيمن والأيسر.

٥- وضع فهرس للفوائد والعبارات الصالحة للاقتباس في نص التهذيب أو النصوص المحذوفة من الأصول.

٦- وضع فهرس مفصل للكتاب.

٧- مراجعة التهذيب وتحكيمه علميًّا.

٨- التجهيز للطباعة.

وأجزل الشكر وأوفاه للمؤسسة العلمية الرائدة «**عطاءات العلم**» لجهودها في خدمة هذا المشروع، ولكل من أسهم في إنجازه بسهم؛ تحقيقًا لأصوله، ومراجعة لنصوصه، وتنسيقًا لها وإخراجًا، تقبل الله من الجميع أعمالهم وبارك فيها وجعلها خالصة لوجهه، إنه سميع مجيب.

وكتب

د. سلطان بن ناصر الناصر

ص: ٥ هذه رسالة كتبها شيخنا الإمام العالم الحَبْر العلَّامة شيخ الإسلام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، المعروف بـ«ابن قيِّم الجوزية» تغمده الله برحمته إلىٰ بعض إخوانه، وسماها «**الكلم الطيب والعمل الصالح**» وهي كما سمَّاها.

قال:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ المسؤولُ، المرجوُّ الإجابةِ أن يتولاكم في الدنيا والآخرة، وأن يُسْبِغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنةً، وأن يجعلكم ممن إذا أنْعَم الله عليه شكر، وإذا ابْتُلِيَ صبر، وإذا أذنَب استغفَر؛ فإن هذه الأمور الثلاثة عُنوان سعادة العبد، وعلامةُ فلاحِه في دنياه وأُخراه، ولا يَنْفَكُّ عبدٌ عنها أبدًا، فإنّ العبد دائمًا يتقلَّبُ بين هذه الأطباق الثلاث.

نِعَمٌ من الله تعالىٰ تترادف عليه، فَقَيْدُها الشكر، وهو مبنيّ علىٰ ثلاثة أركان: الاعتراف بها باطنًا، والتحدث بها ظاهرًا، وتصريفها في مرضاة وَليِّها ومُسْدِيها ومعطيها. فإذا فعل ذلك فقد شكَرها، مع تقصيره في شكرها.

الثاني: مِحَنٌ من الله تعالىٰ يبتليه بها، ففرضُه فيها الصبر والتسليم.

والصبر: حبس النفس عن التَّسخُّط بالمقدور، وحبس اللِّسان عن الشكوىٰ، وحبس الجوارح عن المعصية، كاللَّطْم، وشق الثياب، ونتف الشعر، ونحوه.

فمدار الصبر علىٰ هذه الأركان الثلاثة، فإذا قام بها العبد كما ينبغي انقلبت

المحنةُ في حقه مِنْحةً، واستحالت البليةُ عطيةً، وصار المكروهُ محبوبًا؛ فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يَبْتَلِهِ ليُهْلِكه، وإنما ابتلاه ليمتحن صبرَه وعبوديَّته، فإن لله تعالىٰ علىٰ العبد عبوديةً في الضراء كما له عليه عبودية في السراء، وله عليه عبودية فيما يكره كما له عبودية فيما يُحِبّ، وأكثر الخلق يُعْطُون العبودية فيما يُحِبُّون، والشأنُ في إعطاء العبودية في المكاره، فَبِه تَفاوتَتْ مراتبُ العباد، وبِحَسَبه كانت منازلهم عند الله تعالىٰ.

فالوضوء بالماء البارد في شدة الحر عبودية، ومباشرة زوجته الحسناء التي يحبها عبودية، ونفقته عليها وعلىٰ نفسه وعياله عبودية، هذا والوضوء بالماء البارد في شدة البرد عبودية، وتركُ المعصية التي اشتدَّتْ دواعي نفسه إليها من غير خوف من الناس عبودية، ونفقته في الضراء عبودية، ولكنْ فرقٌ عظيم بين العبوديتَيْن.

فمن كان عبدًا لله في الحالَيْن، قائمًا بحقه في المكروه والمحبوب، فذلك الذي تناوله قوله تعالىٰ: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾[الزمر: ٣٦] وفي القراءة الأخرىٰ ﴿عِبادَه﴾ وهما سواء؛ لأن المفرد مضاف، فيعمُّ عموم الجمع.

فالكفاية التامة مع العبودية التامة، والناقصة مع الناقصة، فمن وَجَد خيرًا فليحمد الله، ومن وَجَد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه.

وهؤلاء هم عباده الذين ليس لعدوِّه عليهم سلطان.

قال الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ [الحجر: ٤٢].

ولما علم عدوُّ الله إبليس أن الله تعالىٰ لا يُسْلِم عبادَه إليه ولا يسلِّطُه عليهم قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢ - ٨٣] وقال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْأَخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ﴾[سبأ: ٢٠ - ٢١] فلم يجعل لعدوه سلطانًا علىٰ عباده المؤمنين؛ فإنهم في حِرْزه وكَلاءته وحفظه وتحت كَنَفِه.

وإنْ اغتال عدوُّه أحدَهم كما يغتال اللصُّ الرجلَ الغافل فهذا لا بد منه؛ لأن العبد قد بُلِي بالغفلة والشهوة والغضب، ودخولُه علىٰ العبد من هذه الأبواب الثلاثة، ولو احترز العبدُ ما احترز فلا بد له من غفلة، ولا بد له من شهوة، ولا بد له من غضب، وقد كان آدم أبو البشر صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أحلم الخلق، وأرجحهم عقلًا، وأثبتهم، ومع هذا فلم يزَل به عدوُّ الله حتىٰ أوقعه فيما أوقعه فيه، فما الظن بِفَراشَةِ الحِلْمِ [(١)] ومَنْ عَقْلُه في جنب عقل أبيه كتَفلةٍ في بحر!

ولكنّ عدو الله لا يَخْلُصُ إلىٰ المؤمن إلا غِيلةً؛ علىٰ غِرَّةٍ وغفلةٍ، فَيُوقِعُه، ويظن أنه لا يستقيل ربَّه عَزَّوَجَلَّ بعدها، وأن تلك الوقعة قد اجتاحته وأهلكته، وفضلُ الله تعالىٰ ورحمته وعفوه ومغفرته من وراء ذلك كلّه.

فإذا أراد الله بعبده خيرًا فتح له بابًا من أبواب التوبة، والندم، والانكسار، والذل، والافتقار، والاستعانة به، وصِدْقِ اللَّجأ إليه، ودوام التضرع، والدعاء، والتقرب إليه بما أمكن من الحسنات ما تكون تلك السيئة به سببَ رحمتِه، حتىٰ يقول عدو الله:

---

(١) الفَراش: يُضرَب بها المثلُ في خِفَّة الحِلْم، كما في «ثمار القلوب» للثعالبي (٢/ ٧٣١).

يا ليتني تركتُه ولم أُوقِعْهُ!

وهذا معنىٰ قول بعض السلف: إن العبد ليعمل الذنب يَدْخُلُ به الجنة، ويعمل الحسنة يدخل بها النار. قالوا: كيف؟ قال: يعمل الذنب فلا يزال نصْبَ عينيه، خائفًا منه مُشفِقًا وَجِلًا باكيًا نادمًا، مستحيًا من ربه تعالىٰ، ناكس الرأس بين يديه، منكسر القلب له[١] فيكون ذلك الذنب سببَ سعادةِ العبد وفلاحِه، حتىٰ يكون ذلك الذنب أنفع له من طاعات كثيرةٍ؛ بما ترتَّبَ عليه من هذه الأمور التي بها سعادةُ العبد وفلاحُه، حتىٰ يكون ذلك الذنب سببَ دخوله الجنة.

ويفعل الحسنة فلا يزال يَمُنُّ بها علىٰ ربه، ويتكبر بها، ويَرىٰ نفسه، ويُعجَب بها، ويستطيل بها، ويقول: فعلتُ وفعلتُ! فيورثه من العُجْب والكِبْر والفخر والاستطالة ما يكون سبب هلاكه، فإذا أراد الله تعالىٰ بهذا المسكين خيرًا ابتلاه بأمرٍ يَكْسِرُه به، ويُذِلُّ به عُنُقَه، ويُصَغِّرُ به نَفْسَه عنده، وإن أراد به غير ذلك خَلَّاهُ وعُجْبَه وكِبْرَه، وهذا هو الخِذلان الموجب لهلاكه.

فإن العارفين كلهم مجمعون علىٰ أن التوفيق: ألا يكِلَك اللهُ تعالىٰ إلىٰ نفسك، والخِذلان: أن يَكِلَكَ الله تعالىٰ إلىٰ نفسك.

فمن أراد الله به خيرًا فتح له باب الذل والانكسار، ودوام اللَّجَأِ إلىٰ الله تعالىٰ، والافتقارِ إليه، ورؤية عيوبِ نفسِه، وجهلها، وظلمها، وعدوانها، ومشاهدةِ فضل ربه، وإحسانه، ورحمته، وجوده، وبِرّه، وغِناه، وحمده.

---

(١) أخرج الإمام أحمد في «الزهد» (٣٩٧) وابن المبارك في «الزهد» (١٦٢) من مرسل الحسن البصري بنحوه.

فالعارف سائر إلىٰ الله تعالىٰ بين هذين الجناحين، لا يمكنه أن يسير إلا بهما، فمتىٰ فاته واحد منهما، فهو كالطير الذي فقد أحد جناحيه.

قال شيخ الإسلام[١]: «**العارف يسير إلىٰ الله بين مشاهدة المِنَّة، ومطالعة عيب النفس والعمل**».

وهذا معنىٰ قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصحيح، حديث «**سَيِّدُ الاستغفار أن يقول العبد: اللَّهم أنت ربي لا إله إلا أنتَ، خلقتني وأنا عبدك، وأنا علىٰ عهدِك ووعدِك ما استطعتُ، أعوذُ بكَ من شَرِّ ما صنعتُ، أبوءُ لكَ بنعمتِك عليَّ، وأبوءُ بذنبي، فاغفر لي، إنَّه لا يغفر الذنوبَ إلا أنتَ**»[٢].

فجمع في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أبوء لك بنعمتك عليَّ وأبوء بذنبي**» مشاهدة المنَّة، ومطالعة عيب النفس والعمل، فمشاهدةُ المنة توجب له المحبةَ والحمد والشكر لوليِّ النعم والإحسان، ومطالعةُ عيب النفس والعمل توجب له الذلَّ والانكسار، والافتقار والتوبة في كل وقت، وألا يرىٰ نفسه إلا مفلسًا.

وأقربُ بابٍ دخل منه العبد علىٰ الله تعالىٰ هو الإفلاس، فلا يرىٰ لنفسه حالًا ولا مقامًا ولا سببًا يتعلق به، ولا وسيلة منه يَمُنُّ بها، بل يدخل علىٰ الله تعالىٰ من باب الافتقار الصِّرْف، والإفلاس المَحْض، دخولَ من كَسَر الفقرُ والمسكنة قلبَه حتىٰ وصلت تلك الكسرة إلىٰ سُوَيْدائه فانصدع، وشملَتْه الكَسْرةُ من كل جهاته، وشهد ضرورتَه إلىٰ ربه عَزَّوَجَلَّ وكمالَ فاقته وفقره إليه.

(١) يعني به شيخ الإسلام الهروي، في «منازل السائرين» (ص ١٤).
(٢) أخرجه البخاري (٦٣٢٣).

وأن في كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة فاقةً تامةً، وضرورةً كاملةً إلىٰ ربه تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وأنه إن تخلىٰ عنه طرفة عينٍ هَلَكَ وخسر خسارة لا تُجْبَر؛ إلا أن يعود الله تعالىٰ عليه ويتداركه برحمته.

ولا طريقَ إلىٰ الله تعالىٰ أقربُ من العبودية، ولا حجابَ أغلظُ من الدَّعْوىٰ!

والعبوديةُ مدارها علىٰ قاعدتين هما أصلها: حب كامل، وذل تام. ومنشأ هذين الأصلين عن ذَيْنِكَ الأصلين المتقدمَيْن، وهما: مشاهدة المِنَّة التي تورث المحبة، ومطالعة عيب النفس والعمل التي تورث الذل التام.

وإذا كان العبد قد بنىٰ سلوكه إلىٰ الله تعالىٰ علىٰ هذين الأصلين لم يظفر عدوُّه به إلا علىٰ غِرَّةٍ وغيلة، وما أسرع ما يُنْعِشُه الله عَزَّوَجَلَّ ويَجْبُره، ويتداركه برحمته.

❁❁❁❁❁

فصل

ص: ١٤
ما يستقيم به القلب

وإنما يستقيم له هذا باستقامة قلبه وجوارحه؛ فاستقامة القلب بشيئين:

أحدهما: أن تكون محبة الله تعالىٰ تتقدم عنده علىٰ جميع المحابِّ، فإذا تعارض حب تعالىٰ الله وحب غيره سبق حُبُّ الله تعالىٰ حُبَّ ما سواه، فرتَّب علىٰ ذلك مقتضاه. وما أسهلَ هذا بالدعوىٰ، وما أصعبَه بالفعل! فعند الامتحان يُكرَم المرء أو يُهان.

وما أكثرَ ما يُقَدِّم العبدُ ما يحبه هو ويهواه، أو يحبه كبيرُه أو أميره أو شيخه أو

أهله، علىٰ ما يحبه الله تعالىٰ، فهذا لم تتقدم محبةُ الله تعالىٰ في قلبه جميع المحابِّ، ولا كانت هي الحاكمةَ عليها المؤمَّرة عليها، وسُنَّةُ الله تعالىٰ فيمن هذا شأنه أن يُنكِّدَ عليه مَحَابَّه ويُنَغِّصها عليه، فلا ينال شيئًا منها إلا بنكدٍ وتنغيصٍ، جزاءً له علىٰ إيثار هواه وهوىٰ من يُعَظِّمُه من الخلق أو يُحِبُّه علىٰ محبة الله تعالىٰ.

وقد قضىٰ الله عَزَّوَجَلَّ قضاءً لا يُردُّ ولا يُدْفَع أن من أحبَّ شيئًا سواه عُذِّبَ به ولا بُدّ، وأنّ من خاف غيره سُلِّطَ عليه، وأن من اشتغل بشيء غيره كان شُؤْمًا عليه، ومن آثر غيره عليه لم يُبارَك فيه، ومن أرضىٰ غيره بسخطه أسخطه عليه ولا بُدّ.

الأمر الثاني الذي يستقيم به القلب: تعظيم الأمر والنهي. وهو ناشئٌ عن تعظيم الآمر الناهي، فإن الله تعالىٰ ذم من لا يُعَظِّمه ولا يُعَظِّم أمره ونهيه، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾[نوح: ١٣].

قالوا في تفسيرها: ما لكم لا تخافون لله تعالىٰ عظمةً[(١)].

وما أحسنَ ما قال شيخ الإسلام في تعظيم الأمر والنهي: «هو ألا يُعارَضا بترخُّصٍ جافٍ، ولا يُعَرَّضا لتشديدٍ غالٍ، ولا يَحمِلَا علىٰ علةٍ تُوهِنُ الانقياد»[(٢)].

ومعنىٰ كلامه: أن أول مراتب تعظيم الحق عَزَّوَجَلَّ تعظيمُ أمره ونهيه، وذلك لأن المؤمن يعرفُ ربَّهُ عَزَّوَجَلَّ برسالته التي أرسل بها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ كافة الناس، ومقتضاها الانقيادُ لأمره ونهيه، وإنما يكون ذلك بتعظيم أمر الله عَزَّوَجَلَّ واتِّباعه، وتعظيم نهيه واجتنابه، فيكون تعظيم المؤمن لأمر الله تعالىٰ ونهيه دالًّا علىٰ

(١) نظر: «تفسير ابن جرير» (٢٣/ ٦٣٤).

(٢) «منازل السائرين» للهروي (٦٥).

تعظيمه لصاحب الأمر والنهي، ويكون بحَسَب هذا التعظيمِ من الأبرار المشهود لهم بالإيمان والتصديق، وصحة العقيدة، والبراءة من النفاق الأكبر.

فإن الرجل قد يتعاطىٰ فعل الأمر لنظر الخلق وطلب المنزلة والجاه عندهم، ويتقي المناهي خشيةَ سقوطه من أعينهم، وخشيةَ العقوبات الدنيوية من الحدود التي رتبها الشارع صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ المناهي، فهذا ليس فعله وتركه صادرًا عن تعظيم الأمر والنهي، ولا عن تعظيم الآمر والناهي.

فعلامة التعظيم للأوامر: رعايةُ أوقاتها وحدودها، والتفتيشُ علىٰ أركانها وواجباتها وكمالها، والحرصُ علىٰ تحسينها، وفعلُها في أوقاتها، والمسارعةُ إليها عند وجوبها، والحزنُ والكآبة والأسف عند فوات حق من حقوقها، كمن يحزن علىٰ فوت الجماعة، ويعلم أنه لو تُقُبِّلَتْ منه صلاتُه منفردًا فإنه قد فاته سبعة وعشرون ضِعفًا.

وكذلك فَوْتُ الخشوع في الصلاة، وحضورِ القلب فيها بين يدي الرب عَزَّوَجَلَّ الذي هو روحُها ولُبُّها، فصلاةٌ بلا خشوع ولا حُضورٍ كبدن ميت لا روح فيه، فإنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها، كما في «السنن» و«مسند الإمام أحمد»[1] وغيره عن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**إن العبد ليصلي الصلاةَ وما كُتِب له إلا نصفُها، إلا ثلثُها، إلا ربعُها، إلا خُمسُها**» حتىٰ بلغ عُشرَها.

وينبغي أن يُعْلَم أن سائر الأعمال تجري هذا المجرىٰ، فتَفاضُلُ الأعمال عند

(١) أخرجه أبو داود (٧٨٦) والنسائي في «الكبرىٰ» (٦١٤، ٦١٥) وأحمد (٦/ ٤٠٨- ٤٠٩) وصححه ابن حبان (١٨٨٩).

الله تعالىٰ بِتفاضُلِ ما في القلوب من الإيمان والإخلاص والمحبة وتوابعها، وهذا العمل الكامل هو الذي يكفِّر تكفيرًا كاملًا، والناقصُ بِحَسَبِه.

وبهاتين القاعدتين تزول إشكالاتٌ كثيرة، وهما: تفاضلُ الأعمال بتفاضل ما في القلوب من حقائق الإيمان، وتكفيرُ العمل للسيئات بحسب كماله ونقصانه.

وبهذا يزول الإشكال الذي يورده من نَقَصَ حظُّه من هذا الباب علىٰ الحديث الذي فيه: «**إن صومَ يومِ عرفة يُكَفِّر سنتين، ويومُ عاشوراء يُكَفِّر سنة**»[1].

قالوا: فإذا كان دأبه دائمًا أنه يصوم يوم عرفة، فصامه وصام يوم عاشوراء، فكيف يقع تكفير ثلاث سنين كل سنة؟

وأجاب بعضهم عن هذا بأن ما فَضَلَ عن التكفير ينال به الدرجات.

ويالله العجب! فليت العبدَ إذا أتىٰ بهذه المكفِّرات كلِّها أن تُكَفَّر عنه سيئاتُه باجتماع بعضها إلىٰ بعض.

والتكفيرُ بهذه مشروطٌ بشروطٍ، موقوفٌ علىٰ انتفاء موانع في العمل وخارجه؛ فإنْ عَلِم العبد أنه جاء بالشروط كلِّها، وانتفت عنه الموانع كلُّها، فحينئذ يقع التكفير، وأما عَمَلٌ شَمِلتْهُ الغفلة أو لِأكثره، وفَقَدَ الإخلاص الذي هو رُوحه ولُبُّه ولم يُوفِ حَقَّه، ولم يقدّره حق قدره، فأيُّ شيء يكفِّر هذا العمل!

فإنْ وثق العبد من عمله بأنه وفّاه حقَّه الذي ينبغي له ظاهرًا وباطنًا، ولم يَعرِض

(١) أخرجه مسلم (١١٦٢).

له مانعٌ يمنع تكفيرَه، ولا مُبْطِلٌ يُحبطه، من عُجْبٍ أو رؤيةِ نفسه فيه أو مَنٍّ به، أو يطلب من العباد تعظيمَه به، أو يستشرف بقلبه لمن يعظِّمه عليه، أو يُعادي من لا يعظمه عليه، ويرىٰ أنه قد بخسه حقه، وأنه قد استهان بحرمته فهذا أيُّ شيء يُكَفِّر!

ومحبطاتُ الأعمال ومفسداتُها أكثر من أن تُحصَر، وليس الشأن في العمل، إنما الشأن في حفظ العمل مما يفسده ويحبطه.

فالرياء، وإن دَقَّ، محبطٌ للعمل، وهو أبواب كثيرة لا تحصر، وكونُ العمل غير مُقَيَّد باتباع السنة أيضًا موجبٌ لكونه باطلًا، والمَنُّ به علىٰ الله تعالىٰ بقلبه مُفْسِدٌ له، وكذلك المَنُّ بالصدقة والمعروف والبِرِّ والاحسان والصِّلَةِ مُفْسِدٌ لها، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾[البقرة: ٢٦٤].

وأكثر الناس ما عندهم خَبَرٌ من السيئات التي تحبط الحسنات، وقد قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات: ٢] فحذر سبحانه المؤمنين من حبوط أعمالهم بالجهر لرسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما يجهر بعضهم لبعض، وليس هذا بردَّة، بل معصيةٌ يُحبَط بها العملُ وصاحبُها لا يشعرُ بها.

فما الظَّنُّ بِمَنْ قَدَّم علىٰ قولِ الرسولِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهدية وطريقه قولَ غيره وهديَه وطريقَه! أليس هذا قد حَبِط عملُه وهو لا يشعر!

ومن هذا قوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من ترك صلاةَ العصر فقد حَبِط عملُه**»[١].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٣، ٥٩٤).

ومن هذا قول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وعن أبيها لزيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما باع بالعِينة: **إنه قد أبطل جهادَه مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا أن يتوب**[(١)]. وليس التبايُع بالعِينة رِدَّةً، وإنما غايته أن يكون معصية.

فمعرفةُ ما يفسدُ الأعمال في حَالِ وقوعها، ويبطِلُها ويحبطُها بعد وقوعها، مِنْ أهم ما ينبغي أن يُفَتِّش عليه العبد، ويحرص علىٰ علمه ويحذره.

وقد جاء في أثرٍ معروف: «إن العبد ليعمل العمل سرًّا لله لا يطَّلع عليه أحدٌ إلا الله تعالىٰ، فيَتحدَّث به، فينتقل من ديوان السِّرِّ إلىٰ ديوان العلانية، ثم يصير في ذلك الديوان علىٰ حسب العلانية»[(٢)] فإن تحدَّث به للسمعة وطلب الجاه والمنزلة عند غير الله تعالىٰ أبطله، كما لو فعله لذلك.

فإن قيل: فإذا تاب هذا هل يعود إليه ثواب العمل؟

قيل: إنْ كان قد عمله لغير الله تعالىٰ وأوقعه بهذه النية، فإنه لا ينقلب صالحًا بالتوبة، بَلْ حَسْبُ التوبة أن تمحو عنه عقابه، فيصير لا له ولا عليه.

وإما إنْ عمله لله تعالىٰ خالصًا، ثم عرض له عُجْبٌ أو رياء، أو تحدَّث به، ثم تاب من ذلك وندم، فهذا قد يعود له ثوابُ عمله ولا يَحبَط. وقد يقال إنه لا يعود إليه، بل يستأنف العمل.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٨/ ١٨٤- ١٨٥) وجوَّد إسناده ابن عبد الهادي في «تنقيح التحقيق» (٢/ ٥٥٨).

(٢) أخرجه البيهقي في «الشعب» (١٢/ ١٨٥- ١٨٦) مرفوعًا، وأعلَّه.

والمسألة مبنية علىٰ أصْلٍ، وهو أن الردَّة هل تُحبط العمل بمجرَّدها، أو لا يُحبطه إلا الموت عليها؟ فيه للعلماء قولان مشهوران، وهما روايتان عن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١].

فإن قلنا: تُحبط العملَ بنفسها. فمتىٰ أسلم استأنف العمل وبطل ما كان قد عمل قبل الإسلام.

وإن قلنا: لا يَحبط العملُ إلا إذا مات مُرتَدًّا. فمتىٰ عاد إلىٰ الإسلام عاد إليه ثواب عمله.

وهكذا العبد إذا فعل حسنة، ثم فعل سيئة تحبطها، ثم تاب من تلك السيئة، هل يعود إليه ثواب تلك الحسنة المتقدمة؟ يُخَرَّجُ علىٰ هذا الأصل.

ولم يزل في نفسي شيءٌ من هذه المسألة، ولم أزل حريصًا علىٰ الصواب فيها، وما رأيت أحدًا شفىٰ فيها، والذي يظهر - والله تعالىٰ أعلم، وبه المستعان، ولا قوة إلا به - أن الحسنات والسيئات تتدافع وتتقابل، ويكون الحكم فيها للغالب، وهو يقهر المغلوب، ويكون الحكم له، حتىٰ كأنّ المغلوب لم يكن، فإذا غلبت علىٰ العبد الحسناتُ رفَعَت حسناتُه الكثيرةُ سيئاتِه، ومتىٰ تاب من السيئة ترتَّبَ علىٰ توبته منها حسنات كثيرةٌ قد تُرْبِي وتزيد علىٰ الحسنة التي حَبِطَت بالسيئة، فإذا عزمت التوبة وصحَّت ونشأت من صميم القلب، أحرقت ما مرَّت عليه من السيئات، حتىٰ كأنها لم تكن؛ فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له.

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٢٥٨، ١١/ ٧٠٠).

وقد سأل حكيمُ بن حزام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن عتاقةٍ وصِلَةٍ وبرٍّ فعله في الشرك: هل يُثَابُ عليه؟ فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أسلمتَ علىٰ ما أسلفتَ مِنْ خَيْرٍ**»[(١)].

فهذا يقتضي أن الإسلام أعاد عليه ثواب تلك الحسنات التي كانت باطلة بالشرك، فلما تاب من الشرك عاد إليه ثوابُ حسناته المتقدمة.

فهكذا إذا تاب العبد توبة نصوحًا صادقةً خالصةً، أحرقت ما كان قبلها من السيئات، وأعادت عليه ثواب حسناته.

*****

فصل

ص٢٦ علامات تعظيم المناهي

وأما علامات تعظيم المناهي: فالحرص علىٰ التباعد من مظانِّها وأسبابها وما يدعو إليها، ومجانبة كل وسيلة تُقَرِّبُ منها، كمن يهرب من الأماكن التي فيها الصُّوَر التي تقع بها الفتنة خشية الافتتان بها، وأنْ يَدَع ما لا بأس به حذرًا مما به بأس، وأن يجانب الفُضول من المباحات خشية الوقوع في المكروهات، ومجانبة من يجاهر بارتكابها ويحسِّنها ويدعو إليها ويتهاون بها ولا يبالي ما رَكِبَ منها؛ فإن مخالطة مثل هذا داعيةٌ إلىٰ سخط الله تعالىٰ وغضبه، ولا يخالطه إلا من سقط مِن قلبه تعظيمُ الله تعالىٰ وحُرُماتِه.

ومن علامات تعظيم النهي: أن يغضب لله عَزَّوَجَلَّ إذا انتُهِكت محارمه، وأن يجد

(١) أخرجه البخاري (١٤٣٦)، ومسلم (١٢٣).

في قلبه حُزنًا وكسْرةً إذا عُصِيَ الله تعالىٰ في أرضه ولم يُطَع بإقامة حدوده وأوامره، ولم يستطع هو أن يُغَيِّر ذلك.

ومن علامات تعظيم الأمر والنهي: ألا يسترسل مع الرخصة إلىٰ حَدٍّ يكون صاحبه جافيًا غير مستقيم علىٰ المنهج الوسط.

مثال ذلك: أن السُّنةَ وردت بالإبراد بالظهر في شدة الحر، فالترخص الجافي أن يُبْرِد إلىٰ فوات الوقت، أو مقاربة خروجه؛ فيكون مُتَرخِّصًا جافيًا.

وحكمة هذه الرخصة أن الصلاة في شدة الحر تمنع صاحبها من الخشوع والحضور، ويفعل العبادة بِتكرُّهٍ وضجر، فمن حكمة الشارع صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنْ أمرهم بتأخيرها حتىٰ ينكسر الحَرُّ، فيصلي العبد بقلبٍ حاضر، ويحصل له مقصود الصلاة من الخشوع والاقبال علىٰ الله تعالىٰ.

وأما تعريض الأمر والنهي للتشديد الغالي، فهو كمن يتوسوس في الوضوء متغاليًا فيه حتىٰ يفوت الوقت، أو يردِّد تكبيرة الأحرام إلىٰ أن تفوته مع الإمام قراءة الفاتحة، أو يكاد تفوته الركعة، أو يتشدد في الورع الغالي حتىٰ لا يأكل شيئًا من طعام عامّة المسلمين خشية دخول الشبهات عليه.

ولقد دخل هذا الورع الفاسد علىٰ بعض العبَّاد الذين نقص حظُّهم من العلم، حتىٰ امتنع أن يأكل شيئًا من بلاد المسلمين، وكان يتقوَّت بما يُحْمَلُ إليه من بلاد النصارىٰ، ويَبْعَثُ بالقَصْدِ لتحصيل ذلك، فأوقعه الجهل المفرط والغلوُّ الزائد في إساءة الظن بالمسلمين وحُسْنِ الظن بالنصارىٰ، نعوذ بالله من الخِذلان.

فحقيقة التعظيم للأمر والنهي ألا يُعارَضا بِتَرَخُّصٍ جافٍ، ولا يُعَرَّضا لتشديدٍ غالٍ، فإن المقصود هو الصراط المستقيم المُوصِل إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بِسَالِكِه.

وما أمر الله عَزَّوَجَلَّ بأمرٍ إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما تقصيرٌ وتفريطٌ، وإما إفراطٌ وغُلوٌّ. فلا يبالي بما ظفر من العبد من الخُطَّتين.

وقد فتن بهذا أكثر الخلق، ولا يُنْجِي من ذلك إلا عِلمٌ راسخ، وإيمانٌ، وقُوَّةٌ علىٰ محاربته، ولزومُ الوسط. والله المستعان.

❖❖❖❖❖

فصل

ص: ٣١

تسليم الأمر لله سواء ظهرت حكمته أم لا

ومن علامات تعظيم الأمر والنهي: ألا يَحْمِلَ الأمر علىٰ عِلَّةٍ تُضْعِفُ الانقياد والتسليم لأمر الله عَزَّوَجَلَّ بل يُسَلِّم لأمر الله تعالىٰ وحكمه ممتثلًا ما أمر به، سواء ظهرت له حكمة الشرع في أمره ونهيه أو لم تظهر، فإن ظهرت له حكمة الشرع في أمره ونهيه حمله ذلك علىٰ مزيد الانقياد بالبذل والتسليم لأمر الله، ولا يحمله ذلك علىٰ الانسلاخ منه وتركه جملةً، كما حَمَل ذلك كثيرًا من زنادقة الفقراء والمنتسبين إلىٰ التصوّف.

فإن الله عَزَّوَجَلَّ شرع الصلوات الخمس إقامةً لذكره، واستعمالًا للقلب والجوارح واللسان في العبودية، وإعطاءَ كلٍّ منها قِسْطَه من العبودية التي هي المقصود بخَلْقِ العبد، فوُضِعَت الصلاةُ علىٰ أكمل مراتب العبودية.

فإن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ خلق هذا الآدميّ، واختاره من بين سائر البَرِيَّة، وجعل

قلبه محل كنوزه من الإيمان، والتوحيد، والإخلاص، والمحبة، والحياء، والتعظيم، والمراقبة، وجعل ثوابه إذا قَدِم عليه أكمل الثواب وأفضله، وهو النظر إلىٰ وجهه، والفوزُ برضوانه، ومجاورتُه في جنته.

وكان مع ذلك قد ابتلاه بالشهوة والغضب والغفلة، وابتلاه بعدوّه إبليس لا يفتر عنه، فهو يدخل عليه من الأبواب التي هي مِنْ نفسه وطبعه، فتميل نفسه معه؛ لأنه يدخل عليها بما تحب، فيتفق هو ونفسه وهواه علىٰ العبد، ثلاثةٌ مُسَلَّطون آمرون، فيبعثون الجوارح في قضاء وَطَرِهم، والجوارح آلة منقادة، فلا يمكنها إلا الانبعاث، فهذا شأن هذه الثلاثة وشأن الجوارح، فلا تزال الجوارح في طاعتهم كيف أَمَروا وأين يَمَّموا.

هذا مقتضىٰ حال العبد.

فاقتضت رحمة ربه العزيز الرحيم به أن أعانه بِجُنْدٍ آخر، وأمدَّه بِمَدَدٍ آخر، يقاوم به هذا الجند الذي يريد هلاكه، فأرسل إليه رسوله، وأنزل عليه كتابه، وأيَّده بمَلَكٍ كريم يقابل عدوَّه الشيطان، فإذا أمره الشيطان بأمره أمره المَلَك بأمر ربه، وبيَّن له ما في طاعة العدو من الهلاك، فهذا يُلِمُّ به مرة، وهذا مرة، والمنصورُ من نصره الله عَزَّوَجَلَّ والمحفوظُ من حفظه الله تعالىٰ.

وجَعَل له مقابل نفسه الأمَّارةِ نفسًا مطمئنة، إذا أمرَتْه النفسُ الأمَّارة بالسوء نَهَتْهُ عنه النفس المطمئنة، وإذا نهته الأمَّارة عن الخير أمرته به النفس المطمئنة، فهو يطيع هذه مرة، وهذه مرة، وهو للغالب عليه منهما، وربما انقهرت إحداهما بالكلية قهرًا

لا تقوم معه أبدًا.

وجَعَلَ له مقابل الهوىٰ الحاملِ له علىٰ طاعة الشيطان والنفس الأمَّارةِ نورًا وبصيرةً وعقلًا يرده عن الذهاب مع الهوىٰ؛ فكلما أراد أن يذهب مع الهوىٰ ناداه العقل والبصيرة والنور: الحذرَ الحذرَ! فإن المهالك والمتالف بين يديك، وأنت صيد الحرامِيَّة وقُطَّاعِ الطريق إنْ سِرْت خلف هذا الدليل!

فهو يطيع الناصح مرّةً فيبين له رشده ونصحه، ويمشي خلف دليل الهوىٰ مرة فَيُقْطَعُ عليه الطريق، ويُؤخَذُ مالُه، وتُسْلَب ثيابُه، فيقول: تُرىٰ من أين أُتِيت! والعجبُ أنه يعلم من أين أُتِي، ويعرف الطريق التي قُطِعت عليه وأُخِذ فيها، ويأبىٰ إلا سلوكَها؛ لأن دليلها قد تمكَّن منه، وتحكَّم فيه، وقوِيَ عليه! ولو أضعفه بالمخالفة له وزَجْرِه إذا دعاه، وبمحاربته إذا أراد أخذَه، لم يتمكَّنْ منه، ولكنْ هو مكَّنَهُ من نفسه، وهو أعطاه يده، فهو بمنزلة الرجل يضع يده في يد عدوه، فيأسره ثم يسومه سوء العذاب، فهو يستغيث فلا يُغاث، فهكذا العبد يستأسر للشيطان والهوىٰ، ولنفسه الأمارة، ثم يطلب الخلاص، فيَعجِز عنه.

فلما أن بُلِي العبدُ بما بُلِي به أُعِين بالعساكر والعُدَدِ والحُصون، وقيل له: قاتِلْ عدوَّك وجاهِدْهُ، فهذه الجنود خُذْ منها ما شئت، وهذه العُدَدُ الْبَسْ منها ما شئت، وهذه الحصون تَحَصَّنْ منها بأي حصنٍ شئت، ورابِطْ إلىٰ الموت، فالأمر قريب، ومدة المرابطة يسيرة جدًّا، فكأنك بالملِك الأعظم وقد أَرْسَلَ إليك رُسُلَه، فنقلوك إلىٰ داره، واسترحت من هذا الجهاد، وفُرِّقَ بينك وبين عدوك، وأُطْلِقْتَ في دار الكرامة تتقلَّب فيها كيف شئت، وسُجِن عدوك في أصعب الحُبوس وأنت تراه،

فالسجنُ الذي كان يريد أن يُودِعَك فيه قد أُدْخِلَه وأُغْلِقت عليه أبوابه، وأَيِسَ من الرَّوح والفرج، وأنت فيما اشتهت نفسك وقَرَّت عينك؛ جزاءً على صبرك في تلك المدة اليسيرة، ولزومكِ الثغر للرِّباط، وما كانت إلا ساعةً ثم انقَضَتْ، وكأنّ الشدة لم تكن.

فإن ضَعُفَت النفسُ عن ملاحظة قِصَر الوقت وسرعة انقضائه، فليتدبر قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ﴾ [الأحقاف: ٣٥] وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٦] وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٢-١١٤] وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ [طه: ١٠٢-١٠٤].

وخطب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه يومًا، فلما كانت الشمس على رؤوس الجبال، وذلك عند الغروب، قال: «**إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ من الدُّنْيا فيما مضىٰ إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضىٰ منه**»[(١)].

فلْيتأمل العاقل الناصح لنفسه هذا الحديث، ولْيَعلَمْ: أيُّ شيءٍ حصل له من هذا الوقت الذي قد بقي في الدنيا بأسرها؛ ليعلم أنه في غرورٍ وأضغاثِ أحلام، وأنه قد باع سعادة الأبد والنعيمَ المقيمَ بِحَظٍّ خسيسٍ لا يساوي شيئًا، ولو طلب الله تعالىٰ والدار الآخرة لأعطاه ذلك الحظ هنيئًا مُوَفَّرًا وأكمل منه، كما في بعض الآثار: «ابنَ

(١) أخرجه الترمذي (٢١٩١) وصححه، وحسنه ابن حجر في «الأمالي المطلقة» (١٧٠).

آدم، بِع الدنيا بالآخرة تَرْبَحْهُما جميعًا، ولا تبع الآخرة بالدنيا تَخْسَرْهُما جميعًا»[١].

وقال بعض السلف: «ابنَ آدم، أنت محتاج إلىٰ نصيبك من الدنيا، وأنت إلىٰ نصيبك من الآخرة أحوج، فإن بدأت بنصيبك من الدنيا أضعت نصيبك من الآخرة، وكنت من نصيب الدنيا علىٰ خطر، وإن بدأت بنصيبك من الآخرة فُزْتَ بنصيبك من الدنيا فانتظمته انتظامًا»[٢].

وكان عمر بن عبد العزيز رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يقول في خطبته: «أيها الناس، إنكم لم تُخلقوا عبثًا، ولم تُتركوا سدىٰ، وإن لكم مَعادًا يجمعكم الله عَزَّوَجَلَّ فيه للحكم فيكم والفصلِ بينكم، فخاب وشَقِيَ عبدٌ أخرجه الله عَزَّوَجَلَّ من رحمته التي وسعت كل شيء، وجنتِه التي عرضها السموات والأرض، وإنما يكون الأمان غدًا لمن خاف الله تعالىٰ واتقىٰ، وباع قليلًا بكثير، وفانيًا بباقٍ، وشقاوة بسعادة، ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين، وسيخلفكم بعدكم الباقون! ألا ترون أنكم في كل يوم تشيِّعون غاديًا إلىٰ الله ورائحًا قد قضىٰ نَحْبَه وانقطع أمله، فتضعونه في بَطْنِ صدْعٍ من الأرض غير موسَّد ولا مُمَهَّد، قد خلع الأسلاب، وفارق الأحباب، وواجه الحساب!»[٣].

والمقصود أن الله عَزَّوَجَلَّ قد أَمَدَّ العبد في هذه المدة اليسيرة بالجنود، والعُدَد، والإمداد، وبَيَّن له بماذا يُحْرِزُ نفسَه من عدوه، وبماذا يَسْتَفِكُّ نفسه إذا أُسِر.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١٤٣) من قول الحسن البصري، وسنده حسن.
(٢) أخرجه هناد في «الزهد» (٥٣٠، ٥٣١) موقوفا علىٰ معاذ بن جبل، وسنده فيه انقطاع. انظر: «مجمع الزوائد» (٤/ ٢٢١).
(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٢٦، ٢٨٧، ٢٩٥).

وقد روى الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ والترمذي[(١)] من حديث الحارث الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أمر يحيىٰ بن زكريا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخمسِ كلماتٍ، أن يعملَ بها ويأمرَ بني إسرائيل أن يعملوا بها، وأنه كاد أن يُبطِئَ بها، فقال له عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: إن الله تعالىٰ أمَرَك بخمس كلمات لتعمل بها وتأمرَ بني إسرائيل أن يعملوا بها، فإما أن تأمرَهم وإما أن آمُرَهم. فقال يحيىٰ: أخشىٰ إن سبقتَني بها أن يُخْسَف بي أو أُعَذَّبَ. فجمع يحيىٰ الناس في بيت المقدس، فامتلأ المسجدُ، وقعدوا علىٰ الشُّرَفِ، فقال: إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أمرني بخمسِ كلماتٍ أن أعْمَلَهُن وآمركم أن تَعمَلُوا بهن.**

أوَّلهن: أن تعبدوا الله ولا تُشركوا به شيئًا؛ فإنَّ مَثَلَ مَن أشرك بالله كمثلِ رجلٍ اشترىٰ عبدًا مِن خالصِ مالِه بذهبٍ أو وَرِقٍ، فقال له: هذه داري، وهذا عملي، فاعمل وأَدِّ إليَّ. فكان يعمل ويؤدِّي إلىٰ غير سيده، فأيُّكُم يرضىٰ أن يكون عبده كذلك!

وإنَّ الله أمركم بالصَّلاة، فإذا صلَّيتم فلا تلتفتوا؛ فإن الله ينصِبُ وجهَه لوجْهِ عبدِه في صلاته، ما لم يلتفِتْ.

وأمركم بالصِّيامِ؛ فإنَّ مَثَلَ ذلك كمَثَل رجلٍ في عصابة، معه صُرَّةٌ فيها مِسك، كلُّهم يَعْجَبُ أو يُعجِبه ريحُه، وإنَّ ريح الصائم أطيبُ عند الله تعالىٰ من ريح المسك.

وأمركم بالصدقة؛ فإن مَثَل ذلك مَثَل رجلٍ أَسَرَه العدو، فأوثَقُوا يدَه إلىٰ عنقه، وقدَّموه ليضربوا عنقه، فقال: أنا أفتدي منكم بالقليل والكثير. ففدىٰ نفسَه منهم.

---

(١) أحمد (٥/ ٨٤٩، ٨٥٠)، والترمذي (٢٨٦٣)، وصححه الترمذي، وابن خزيمة (٩٣٠)، وابن حبان (٦٢٣٣).

وأمركم أن تذكروا الله تعالىٰ؛ فإن مَثَل ذلك كمَثَل رجلٍ خرج العدوُّ في أثَرِه سِراعًا، حتىٰ إذا أتىٰ علىٰ حصنٍ حصينٍ فأحرز نفسه منهم، كذلك العبدُ لا يُحرز نفسَه من الشيطان إلا بذكر الله تعالىٰ».

قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وأنا آمركم بخمسٍ اللهُ أمرني بهن: السمع، والطاعة، والجهاد، والهجرة، والجماعة؛ فإنه من فارق الجماعة قِيدَ شِبْرٍ فقد خلع رِبْقَة الإسلام من عنقه إلا أن يُراجِع، ومن ادَّعىٰ دعوىٰ الجاهلية فإنه من جُثا جهنم**» فقال رجل: يا رسول الله، وإن صلىٰ وصام؟ قال: «**وإن صلىٰ وصام، فَادْعُوا بدعوىٰ الله الذي سماكم: المسلمين، المؤمنين، عباد الله**» قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

فقد ذكر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث العظيم الشأن، الذي ينبغي لكل مسلم حفظُه وتَعَقُّله، ما ينجي من الشيطان، وما يحصل للعبد به الفوزُ والنجاة في دنياه وأخراه.

فذَكَر مَثَلَ المُوَحِّد والمشرك: فالموحِّدُ كمن عمل لسيِّده في داره، وأدَّىٰ لسيِّده ما استعمله فيه، والمشركُ كمن استعمله سيده في داره، فكان يعمل ويؤدي خراجه وعمله إلىٰ غير سيِّده، فهكذا المشرك يعمل لغير الله تعالىٰ في دار الله تعالىٰ، ويتقرب إلىٰ عدو الله تعالىٰ بنعم الله تعالىٰ عليه.

ومعلوم أن العبد من بني آدم لو كان له مملوك كذلك لكان أمقتَ المماليك عنده، وكان أشدَّ شيءٍ غضبًا عليه وطردًا له وإبعادًا، وهو مخلوق مثله، كلاهما في نعمة غيرهما، فكيف برب العالمين الذي ما بالعبد من نعمةٍ فمنه وحده لا شريك

له، ولا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يصرف السيئات إلا هو، وهو وحده المنفرد بخلق عبده، ورحمته، وتدبيره، ورزقه، ومعافاته وقضاء حوائجه!

فكيف يليق به مع هذا أن يَعْدِلَ به غيرَه في الحب، والخوف، والرجاء، والحلف، والنذر، والمعاملة، فيحبُّ غيرَه كما يحبه أو أكثر، ويخاف غيره ويرجوه كما يخافه أو أكثر!

وشواهدُ أحوالهم، بل وأقوالهم وأعمالهم، ناطقةٌ بأنهم يحبُّون أندادهم من الأحياء والأموات، ويخافونهم، ويرجونهم، ويعاملونهم، ويطلبون رضاهم، ويهربون من سخطهم، أعظمَ مما يحبون الله تعالىٰ، ويخافونه، ويرجونه، ويهربون من سخطه.

وهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله عَزَّوَجَلَّ قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦].

والظلم عند الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة له دواوين ثلاثة: ديوانٌ لا يغفر الله منه شيئًا، وهو الشِّرك به؛ فإن الله لا يغفر أن يُشْرَك به.

وديوان لا يترك الله تعالىٰ منه شيئًا، وهو ظلم العباد بعضهم بعضًا؛ فإن الله تعالىٰ يستوفيه كلَّه.

وديوانٌ لا يعبأ الله به شيئًا، وهو ظلم العبد نفسَه بينه وبين ربِّه عَزَّوَجَلَّ[1] فإن هذا الديوان أخفُّ الدواوين وأسرعُها محوًا، فإنه يُمْحىٰ بالتوبة والاستغفار، والحسنات

(١) ورد معناه في حديث أخرجه أحمد (٨/ ٤٧٠)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٩٢٧).

الماحية، والمصائب المكفرة، ونحوِ ذلك، بخلاف ديوانِ الشرك، فإنه لا يُمْحىٰ إلا بالتوحيد، وديوانُ المظالم لا يُمْحىٰ إلا بالخروج منها إلىٰ أربابها واستحلالهم منها.

ولما كان الشركُ أعظمَ الدواوين الثلاثة عند الله عَزَّوَجَلَّ حرَّم الجنة علىٰ أهله؛ فلا يدخل الجنةَ نفسٌ مشركة، وإنما يدخلها أهل التوحيد، فإن التوحيد هو مفتاح بابها، فمن لم يكن معه مفتاح لم يُفْتَحْ له بابها، وكذلك إن أتىٰ بمفتاح لا أسنان له لم يُمْكِنِ الفَتْحُ به.

وأسنان هذا المفتاح هي: الصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وبر الوالدين.

فأيُّ عبدٍ اتخذ في هذه الدار مفتاحًا صالحًا من التوحيد، وركَّب فيه أسنانًا من الأوامر، جاء يوم القيامة إلىٰ باب الجنة ومعه مفتاحُها الذي لا تُفْتَحُ إلا به، فلم يَعُقْه عن الفتح عائق، اللهم إلا أن تكون له ذنوب وخطايا وأوزار لم يذهب عنه أثرُها في هذه الدار بالتوبة والاستغفار، فإنه يُحبَس عن الجنة حتىٰ يتطهَّر منها، وان لم يُطهِّره الموقف وأهواله وشدائده فلا بد من دخول النار ليخرج خبثُه فيها، ويتطهر من ذنوبه ووسخه، ثم يخرج منها فيدخل الجنة، فإنها دار الطيبين، لا يدخلها إلا طيِّب.

قال الله تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [النحل: ٣٢] وقال تعالىٰ: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ [الزمر:

٧٣]فعَقَّب دخولها علىٰ الطِّيب بحرف الفاء الذي يُؤْذِن بأنه سبب للدخول، أي بسبب طيبكم قيل لكم: ادخلوها.

وقوله في الحديث «**وأمَرَكم بالصلاة، فإذا صليتم فلا تلتفتوا؛ فإنَّ الله يَنْصِبُ وجهَه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت**».

الالتفاتُ المنهيُّ عنه في الصلاة قسمان:

أحدهما: التفات القلب عن الله عَزَّوَجَلَّ إلىٰ غير الله تعالىٰ.

الثاني: التفات البصر.

وكلاهما منهي عنه، ولا يزال الله مقبلًا علىٰ عبده ما دام العبد مقبلًا علىٰ صلاته، فإذا التفت بقلبه أو بصره أعرض الله تعالىٰ عنه.

وقد سئل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن التفات الرجل في صلاته فقال: «**هو اخْتِلاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيطانُ مِنْ صلاةِ العبد**»(١).

وفي أثر آخر: يقول الله تعالىٰ: «**إلىٰ خيرٍ مني! إلىٰ خيرٍ مني!**»(٢).

ومَثَلُ من يلتفت في صلاته ببصره أو بقلبه، مثلُ رجلٍ قد استدعاه السلطان، فأوقفه بين يديه، وأقبل يناديه ويخاطبه، وهو في خلال ذلك يلتفت عن السلطان يمينًا وشمالًا، أو قد انصرف قلبه عن السلطان فلا يَفْهَمُ ما يخاطبه به؛ لأن قلبه ليس

(١) أخرجه البخاري (٧٥١).

(٢) أخرجه البزار كما في «كشف الأستار» (١/ ٢٦٧، ٢٦٨)، وضعفه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٨٠).

حاضرًا معه، فما ظن هذا الرجل أن يَفْعَل به السلطان! أفليس أقل المراتب في حقه أن ينصرف من بين يديه ممقوتًا مُبْعَدًا وقد سقط من عينيه!

فهذا المصلي لا يستوي والحاضرُ القلبِ المقبلُ علىٰ الله تعالىٰ في صلاته، الذي قد أشعر قلبَه عظمةَ من هو واقف بين يديه، فامتلأ قلبُه من هيبته، وذَلَّتْ عنقه له، واسْتَحْيَىٰ من ربه تعالىٰ أن يقبل علىٰ غيره أو يلتفت عنه. وبين صلاتيهما كما قال حسان عطية: «**إن الرجلين ليكونان في الصلاة الواحدة، وإن ما بينهما في الفضل كما بين السماء والأرض**»[1] وذلك أن أحدهما مقبل علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ والآخر ساهٍ غافل.

فإذا أقبل العبد علىٰ مخلوقٍ مثلِه، وبينه وبينه حجاب، لم يكن إقبالًا ولا تقريبًا، فما الظن بالخالق عَزَّوَجَلَّ!

وإذا أقبل علىٰ الخالق عَزَّوَجَلَّ وبينه وبينه حجاب الشهوات والوساوس، والنفس مشغوفةٌ بها ملأىٰ منها، فكيف يكون ذلك إقبالًا وقد أَلْهَتْهُ الوساوس والأفكار وذهبت به كلَّ مَذْهب!

والعبدُ إذا قام في الصلاة غار الشيطان منه، فإنه قد قام في أعظم مقام وأقربِه، وأغيظِه للشيطان وأشدِّه عليه، فهو يحرص ويجتهد كل الاجتهاد ألا يقيمه فيه، بل لا يزال به يَعِدُه ويُمَنِّيه ويُنْسِيه، ويجلب عليه بخيله ورَجِلِه حتىٰ يُهوِّن عليه شأن الصلاة، فيتهاون بها، فيتركها.

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٢٤- زوائد رواية نعيم بن حماد).

فإن عجز عن ذلك منه، وعصاه العبد وقام في ذلك المقام، أقبل عدوُّ الله تعالىٰ حتىٰ يخطر بينه وبين نفسه، ويَحُولَ بينه وبين قلبه، فيذكِّره في الصلاة ما لم يذكر قبل دخوله فيها، حتىٰ ربما كان قد نسي الشيء والحاجة وأَيِس منها، فَيُذَكِّره إياها في الصلاة؛ ليشغل قلبَه بها، ويأخذه عن الله عَزَّوَجَلَّ فيقوم فيها بلا قلب، فلا ينال من إقبال الله تعالىٰ وكرامته وقربه ما يناله المقبلُ علىٰ ربه عَزَّوَجَلَّ الحاضرُ بقلبه في صلاته، فينصرف من صلاته مثلَما دخل فيها، بخطاياه وذنوبه وأثقاله، لم تَخِفَّ عنه بالصلاة.

فإن الصلاة إنما تُكَفِّرُ سيئاتِ مَن أدَّىٰ حقَّها، وأكمَلَ خشوعها، ووقف بين يدي الله تعالىٰ بقلبه وقالبه، فهذا إذا انصرف منها وجد خِفَّةً من نفسه، وأحسَّ بأثقالٍ قد وُضِعَتْ عنه، فوجد نشاطًا وراحةً ورَوحًا، حتىٰ يتمنَّىٰ أنه لم يكن خرج منها؛ لأنها قرَّةُ عينه، ونعيمُ رُوحه، وجنَّة قلبه، ومُسْتَراحُه في الدنيا، فلا يزال كأنه في سجن وضيق حتىٰ يدخل فيها فيستريح بها، لا منها.

فالمُحِبُّون يقولون: نصلي فنستريح بصلاتنا. كما قال إمامهم وقُدوتهم ونبيُّهم صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**يا بلالُ أرِحنا بالصَّلاة**»[١] ولم يقل: أرحنا منها. وقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**جُعِلت قُرَّة عيني في الصلاة**»[٢] فمن جُعِلَتْ قرةُ عينه في الصلاة كيف تَقَرُّ عينُه بدونها، وكيف يطيق الصبر عنها!

فصلاة هذا الحاضر بقلبه الذي قرة عينه في الصلاة هي التي تَصْعَد ولها نور

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٤٦)، وصححه العراقي في «المغني عن حمل الأسفار» (١/ ١١٨).
(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٣٣٠)، والنسائي (٣٩٤٩)، وصححه الحاكم (٢/ ١٦٠)، وحسنه ابن حجر في «التلخيص» (٣/ ١٣٣- ١٣٤).

وبرهان، حتىٰ يُسْتَقْبَلَ بها الرحمن عَزَّوَجَلَّ فتقول: «حَفِظَكَ اللهُ تعالىٰ كمَا حَفِظْتَني» وأما صلاة المفرِّط المضيِّع لحقوقها وحدودها وخشوعها، فإنها تُلَفُّ كما يُلَفُّ الثوب الخَلِق ويُضْرَب بها وجهُ صاحبها، وتقول: «ضَيَّعَكَ اللهُ كما ضَيَّعْتَنِي».

فالصلاة المقبولة، والعمل المقبول أن يصلي العبد صلاةً تليق بربِّه عَزَّوَجَلَّ فإذا كانت صلاةً تصلح لربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وتليق به كانت مقبولة.

والمقبول من العمل قسمان:

أحدهما: أن يصلي العبدُ ويعمل سائر الطاعات وقلبُه متعلق بالله عَزَّوَجَلَّ ذاكرٌ لله عَزَّوَجَلَّ علىٰ الدوام، فأعمال هذا العبد تُعْرَضُ علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ حتىٰ تقف قُبالتَه، فينظر الله عَزَّوَجَلَّ إليها، فإذا نظر إليها ورآها خالصةً لوجهه مرضية، قد صدرت عن قلب سليم مخلص مُحِبٍّ لله عَزَّوَجَلَّ متقرِّبٍ إليه أحبَّها، ورضيها، وقَبِلَها.

والقسم الثاني: أن يعمل العبد الأعمال علىٰ العادة والغفلة، وينوي بها الطاعةَ والتقرُّبَ إلىٰ الله، فأركانه مشغولة بالطاعة، وقلبُه لاهٍ عن ذكر الله، وكذلك سائر أعماله، فإذا رُفِعَتْ أعمال هذا إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ لم تقف تجاهه، ولا يقع نظره عليها، ولكن تُوضَع حيث توضع دواوين الأعمال، حتىٰ تعرض عليه يوم القيامة، فَتُمَيَّز، فيُثيبه علىٰ ما كان له منها، وَيَرُدُّ عليه ما لم يُرِدْ وجهه به منها.

فهذا قبولُه لهذا العمل إثابتُه عليه بمخلوقٍ من مخلوقاته، من القصور، والأكل والشرب، والحور العين، وإثابة الأول رِضاهُ العملَ لنفسه، ورضاه علىٰ عامله، وتقريبه منه، وإعلاء درجته ومنزلته، فهذا يعطيه بغير حساب، فهذا لونٌ، والأول

لونٌ.

والناس في الصلاة علىٰ مراتب خمسة:

أحدها: مرتبة الظالم لنفسه المُفَرِّط، وهو الذي انتقص من وضوئها ومواقيتها وحدودها وأركانها.

الثاني: من يحافظ علىٰ مواقيتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووضوئها، لكن قد ضيَّع مجاهدةَ نفسه في الوسوسة، فذهب مع الوساوس والأفكار.

الثالث: من حافظ علىٰ حدودها وأركانها، وجاهد نفسه في دفع الوساوس والأفكار، فهو مشغول بمجاهدة عدوه؛ لئلا يسرق صلاته، فهو في صلاةٍ وجهاد.

الرابع: من إذا قام إلىٰ الصلاة أكمل حقوقها وأركانها وحدودها، واستغرق قلبَه مراعاةُ حدودها وحقوقها؛ لئلا يُضَيِّع منها شيئًا، بل همُّه كله مصروف إلىٰ إقامتها كما ينبغي وإكمالها وإتمامها، قد استغرق قلبَه شأنُ الصلاة وعبودية ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فيها.

الخامس: من إذا قام إلىٰ الصلاة قام إليها كذلك، ولكنْ مع هذا قد أخذ قلبَه ووضعه بين يدي ربه عَزَّوَجَلَّ ناظرًا بقلبه إليه، مراقبًا له، ممتلئًا من محبته وعظمته، كأنه يراه ويشاهده، وقد اضمحلَّتْ تلك الوساوس والخطرات، وارتفعت حُجُبُها بينه وبين ربه، فهذا بينه وبين غيره في الصلاة أعظمُ مما بين السماء والأرض، وهذا في صلاته مشغول بربه عَزَّوَجَلَّ قرير العين به.

فالقسم الأول معاقَبٌ، **والثاني** محاسَبٌ، **والثالث** مُكَفَّرٌ عنه، **والرابع** مثابٌ، **والخامس** مُقَرَّبٌ؛ لأن له نصيبًا ممن جُعِلَتْ قرة عينه في الصلاة، فمن قَرَّتْ عينه بصلاته في الدنيا قَرَّتْ عينه بقُربه من ربِّه عَزَّوَجَلَّ في الآخرة، وقَرَّتْ عينه أيضًا به في الدنيا، ومن قَرَّتْ عينه بالله قَرَّتْ به كلُّ عين، ومن لم تَقَرَّ عينُه بالله تعالىٰ تقطَّعَتْ نفسه علىٰ الدنيا حسرات.

*****

ص٥٢ أنواع القلوب من حيث وجود الإيمان

فصل

وإنما يَقْوىٰ العبدُ علىٰ حضوره في الصلاة واشتغالِه فيها بربِّه عَزَّوَجَلَّ إذا قهر شهوته وهواه، وإلا فقلبٌ قد قهرَتْه الشهوةُ، وأسره الهوىٰ، ووجد الشيطانُ فيه مقعدًا تمكَّنَ فيه، كيف يخلص من الوساوس والأفكار!

والقلوب ثلاثة:

قلبٌ خالٍ من الإيمان وجميع الخير، فذلك قلب مُظْلِمٌ، قد استراح الشيطانُ من إلقاء الوساوس إليه؛ لأنه قد اتخذه بيتًا ووطنًا، وتحكَّم فيه بما يريد، وتمكَّن منه غاية التمكُّن.

القلب الثاني: قلبٌ قد استنار بنور الإيمان وأوقد فيه مِصباحه، لكن عليه ظلمة الشهوات وعواصف الأهوية، فللشيطان هنالك إقبالٌ وإدبارٌ ومجاولات ومطامع، فالحربُ دُوَلٌ وسِجال، وتختلف أحوال هذا الصنف بالقلة والكثرة، فمنهم مَن

أوقات غلبته لعدوه أكثر، ومنهم من أوقات غلبة عدوه له أكثر، ومنهم من هو تارة وتارة.

القلب الثالث: قلبٌ مَحْشُوٌّ بالإيمان، قد استنار بنور الإيمان، وانقشعت عنه حجب الشهوات، وأقلعت عنه تلك الظلمات، فَلِنُوره في صدره إشراق، ولذلك الإشراق إيقادٌ، لو دنا منه الوَسواس احترق به، فهو كالسماء التي حُرِسَت بالنجوم، فلو دنا منها الشيطان يتخطاها رُجِم فاحترق.

وليست السماء بأعظم حُرْمَةً من المؤمن، وحراسةُ الله تعالىٰ له أتمُّ من حراسة السماء، والسماء مُتَعَبَّدُ الملائكة، ومُسْتَقَرُّ الوحي، وفيها أنوار الطاعات، وقلبُ المؤمن مُسْتَقَرُّ التوحيد والمحبة والمعرفة والإيمان، وفيه أنوارها، فهو حقيقٌ أن يُحْرَس ويُحْفَظَ من كيد العدو، فلا ينال منه شيئًا إلا علىٰ غِرّةٍ وغفلةٍ خَطْفَةً.

وقد مُثِّل ذلك بمثال حسن، وهو ثلاثة بيوت:

بيتٌ للمَلِك، فيه كنوزه وذخائره وجواهره.

وبيتٌ للعبد، فيه كنوز العبد وذخائره وجواهره، وليس فيه جواهر الملك وذخائره.

وبيت خالٍ صِفْرٌ لا شيء فيه.

فجاء اللص ليسرق من أحد البيوت، فمن أيها يسرق؟

فإن قلت: من البيت الخالي. كان محالًا؛ لأن البيت الخالي ليس فيه شيء

يُسْرَق؛ ولهذا قيل لابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: إن اليهود تزعم أنها لا تُوسوَسُ في صلاتها! فقال: «وما يصنع الشيطان بالقلب الخراب!»[(١)].

وإن قلتَ: يَسْرق من بيت الملك. كان ذلك كالمستحيل الممتنع؛ فإنَّ عليه من الحرس واليَزَكِ[(٢)] وما لا يستطيع اللص الدُّنُوَّ منه، كيف وحارسه الملِك بنفسه! وكيف يستطيع اللص الدُّنُوَّ منه وحوله من الحرس والجند ما حوله!

فلم يبق لِلِّصِّ إلا البيت الثالث، فهو الذي يَشُنُّ عليه الغارة.

فليتأمل اللبيب هذا المثال حقَّ التأمل، ولينزِّلْه علىٰ القلوب، فإنها علىٰ منواله.

❦❦❦❦❦

ص٥٧ في مثال الصوم

فصل

عُدنا إلىٰ شرح حديث الحارث الذي فيه ذِكرُ ما يُحرِزُ العبدَ من عدوِّه:

قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**وأمَرَكم بالصيام، فإن مَثَلَ ذلك مَثَلُ رجل في عصابةٍ معه صُرَّةٌ فيها مِسك، فكلُّهم يَعْجَب، أو يُعجِبه ريحُه، وإن ريح الصائم أطيبُ عند الله من ريح المسك**».

إنما مثَّل صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ذلك بصاحب الصُّرة التي فيها المسك؛ لأنها مستورة عن العيون، مخبوءة تحت ثيابه، كعادة حامل المسك، وهكذا الصائم صومُه مستورٌ عن مشاهدة الخلق، لا تدركه حواسُّهم.

---

(١) أخرج أحمد في «الزهد» (٢٥٥) من قول العلاء بن زياد بنحوه.

(٢) اليَزَك: طلائع الجيش. انظر: «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية» (٤٤٦).

والصائم هو الذي صامَتْ جوارحُه عن الآثام، ولسانُه عن الكذب والفحش وقولِ الزور، وبطنُه عن الطعام والشراب، وفرجُه عن الرفث؛ فإن تكلَّم لم يتكلم بما يجرح صومه، وإن فعل لم يفعل ما يفسد صومه، فيَخرُج كلامُه كلُّه نافعًا صالحًا، وكذلك أعماله، فهي بمنزلة الرائحة التي يَشَمُّها مَنْ جَالَس حامِلَ المسك، كذلك من جالَس الصائم انتفع بمجالسته له، وأَمِن فيها من الزور والكذب والفجور والظلم.

هذا هو الصوم المشروع، لا مجرد الإمساك عن الطعام والشراب.

ففي الحديث الصحيح: «**من لم يَدَعْ قولَ الزُّور والعملَ به والجهلَ، فليس لله حاجة أن يَدَعَ طعامه وشرابه**»[1] وفي الحديث: «**رُبَّ صائمٍ حظُّه من صيامه الجوعُ والعطش**»[2].

فالصوم هو صوم الجوارح عن الآثام، وصوم البطن عن الشراب والطعام، فكما أن الطعام والشراب يقطعه ويفسده، فهكذا الآثام تقطع ثوابَه وتُفسد ثمرتَه، فتُصيِّره بمنزلة من لم يَصُمْ.

وقد اخْتُلِفَ في وجود هذه الرائحة من الصائم؛ هل هي في الدنيا أو في الآخرة؟ علىٰ قولين.

ووقع بين الشيخين الفاضلين؛ أبي محمد ابن عبد السلام وأبي عمرو ابن الصلاح، في ذلك تنازع، فمال أبو محمد إلىٰ أن تلك في الآخرة خاصة، وصنف فيه مصنفًا، ومال الشيخ أبو عمرو إلىٰ أن ذلك في الدنيا والآخرة، وصنف فيه مصنفًا ردَّ

(١) أخرجه البخاري (٦٠٥٧).
(٢) أخرجه ابن ماجه (١٦٩٠)، وصححه ابن خزيمة (١٩٩٧)، والحاكم (١/ ٤٣١).

فيه علىٰ أبي محمد.

قلتُ: وفصلُ النزاع في المسألة أن يقال: حيث أخبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن ذلك الطِّيب يكون يوم القيامة؛ فلأنه الوقت الذي يظهر فيه ثواب الأعمال ومُوجَباتها من الخير والشر، فيظهر للخلق طِيبُ ذلك الخُلوف علىٰ المسك، كما يظهر فيه رائحة دم المكلوم في سبيله كرائحة المسك، وكما تظهر فيه السرائر وتبدو علىٰ الوجوه وتصير علانية، ويظهر فيه قبح رائحة الكفار وسواد وجوههم.

وحيثُ أخبر بأن ذلك «حين يَخْلُف» و«حين يُمْسُون» فلأنه وقت ظهور أثر العبادة، ويكون حينئذ طِيبُها زائدًا علىٰ ريح المسك عند الله تعالىٰ وعند ملائكته، وإن كانت تلك الرائحة كريهةً للعباد، فَرُبَّ مكروهٍ عند الناس محبوبٌ عند الله تعالىٰ، وبالعكس؛ فإن الناس يكرهونه لمنافرته طباعهم، والله تعالىٰ يستطيبه ويحبه لموافقته أَمْرَه ورضاه ومحبته، فيكون عنده أطيبَ من ريح المسك عندنا، فإذا كان يومُ القيامة ظهر هذا الطيب للعباد، وصار علانيةً، وهكذا سائر آثار الأعمال من الخير والشر، وإنما يكمل ظهورها ويصير علانية في الآخرة.

وقد يَقْوَىٰ العملُ ويتزايد حتىٰ يستلزم ظهورَ بعضِ أثره علىٰ العبد في الدنيا في الخير والشر، كما هو مُشاهَدٌ بالبصر والبصيرة.

فهذا فصل الخطاب في هذه المسألة، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أعلم بالصواب.

❁❁❁❁❁

ص٦٩
في مثال
الصدقة

فصل

وقوله: «**وأمركم بالصدقة؛ فإن مَثَل ذلك مَثَلُ رجلٍ أسره العدو، فأوثقوا يده منه إلىٰ عنقه، وقدَّموه ليضربوا عنقه، فقال: أنا أفتدي منكم بالقليل والكثير. ففدىٰ نفسه منهم**».

هذا أيضًا من الكلام الذي برهانُه وجودُه، ودليلُه وقوعُه، فإن للصدقة تأثيرًا عجيبًا في دفع أنواع البلاء، ولو كانت من فاجر أو من ظالم، بل من كافر؛ فإن الله تعالىٰ يدفع بها عنه أنواعًا من البلاء، وهذا أمر معلوم عند الناس خاصَّتهم وعامَّتهم، وأهلُ الأرضِ كلُّهم مُقِرُّون به لأنهم قد جرَّبوه.

وقد روىٰ الترمذي في «جامعه»[(١)] من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن الصدقة تُطفئ غضب الرَّبِّ، وتدفع مِيتة السوء**».

وكما أنها تُطْفِئُ غضب الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فهي تُطْفِئُ الذنوب والخطايا كما يُطْفِئُ الماء النار.

وفي «الترمذي» عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سفر، فأصبحت يومًا قريبًا منه ونحن نسير، فقال: «**ألا أدلك علىٰ أبواب الخير؟ الصومُ جُنَّة، والصدقة تطفئ الخطيئةَ كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل شعار الصالحين**» ثم تلا: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا

(١) برقم (٦٦٤) وقال: «حسن غريب»، وصححه ابن حبان (٣٣٠٩).

وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[1] [السجدة:١٦].

وفي بعض الآثار: «**باكِرُوا بالصدقة، فإن البلاء لا يتخطىٰ الصدقة**»[2].

وفي تمثيل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك بمن قُدِّم ليُضرَب عنقه فافتدىٰ نفسه منهم بمالِه كفايةٌ؛ فإنّ الصدقة تفدي العبد من عذاب الله عَزَّوَجَلَّ فإن ذنوبه وخطاياه تقتضي هلاكه، فتجيء الصدقةُ تفديه من العذاب وتَفكُّهُ منه.

ولهذا قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصحيح لما خطب النساء يوم العيد: «**يا معاشرَ النساء، تَصدَّقْن ولو من حُليِّكُن؛ فإني رأيتُكُنَّ أكثرَ أهل النار**»[3] وكأنه حثَّهن ورغَّبهن علىٰ ما يفدين به أنفسهن من النار.

وفي «الصحيحين»[4] عن عدي بن حاتم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما منكم من أحدٍ إلا سَيُكَلِّمُه ربُّه ليس بينه وبينه تَرجُمان، فينظرُ أَيْمَنَ منه فلا يرىٰ إلَّا ما قَدَّم، وينظرُ أَشْأَم منه فلا يرىٰ إلا ما قَدَّمَ، وينظر بين يديه فلا يرىٰ إلا النار تِلْقاءَ وجهه، فاتقوا النار ولو بشقِّ تمرة**».

وفي «الصحيحين»[5] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: ضَرب رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**مَثَل البخيل والمُتَصَدِّق كمَثَلِ رجلين عليهما جُبَّتان من حديد، أو**

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦١٦) وصححه، وأخرجه أيضا ابن ماجه (٣٩٧٣).

(٢) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٦/ ٥٣٠) من قول أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وروي مرفوعًا إلىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولكن سنده ضعيف جدًّا. انظر: «الكامل» لابن عدي (٢/ ٤٤٨).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٦٢)، ومسلم (٨٨٩).

(٤) البخاري (٧٥١٢)، ومسلم (١٠١٦).

(٥) البخاري (٥٧٩٧)، ومسلم (١٠٢١).

جُنَّتان من حديد، قد اضطُرَّت أيديهما إلىٰ ثُدِيِّهما وتراقيهما، فجعَل المتصدقُ كلما تصدَّق بصدقةٍ انبسطت عنه حتىٰ تُغَشِّيَ أناملَهُ وتَعْفُوَ أثرَه، وجعل البخيلُ كلما هَمَّ بصدقة قَلَصت وأخذَتْ كلُّ حلْقةٍ مكانَها» قال أبو هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: فأنا رأيت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول بإصبعه هكذا في جَيْبِه - فلو رأيتَه - يُوسِّعُها ولا تتَّسع.

ولما كان البخيل محبوسًا عن الإحسان، ممنوعًا عن البِر والخير، وكان جزاؤه من جنس عمله؛ فهو ضَيِّقُ الصدر، ممنوعٌ من الانشراح، ضَيِّق العَطَن، صغير النفس، قليل الفرح، كثير الهم والغم والحزن، لا يكاد تُقْضَىٰ له حاجة، ولا يُعان علىٰ مطلوب.

فهو كرجل عليه جُبَّة من حديدٍ، قد جُمِعت يداه إلىٰ عنقه بحيث لا يتمكَّن مِن إخراجها ولا حركتها، وكلما أراد إخراجَها، أو توسيع تلك الجبة لزمت كلُّ حَلقةٍ من حِلَقها موضعَها، وهكذا البخيل كلما أراد أن يتصدق مَنَعَهُ البخلُ، فيبقىٰ قلبُه في سجنه كما هو.

والمتصدقُ كلما تصدق بصدقة انشرح لها قلبه، وانفسح بها صدره، فهو بمنزلة اتساع تلك الجُبَّة عليه، فكلما تصدق اتسع وانفسح وانشرح، وقَوِيَ فرحه، وعَظُمَ سروره، ولو لم يكن في الصدقة إلا هذه الفائدةُ وحدَها لكان العبدُ حقيقًا بالاستكثار منها والمبادرة إليها، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

و كان عبد الرحمن بن عوف - أو سعد بن أبي وقاص - يطوف بالبيت وليس

له دأب إلا هذه الدعوة: «ربِّ قني شُحَّ نفسي، ربِّ قني شُحَّ نفسي» فقيل له: أما تدعو بغير هذه الدعوة! فقال: «إذا وُقِيتُ شُحَّ نفسي فقد أفلحتُ»[(١)].

والفرق بين الشُّحِّ والبخل أن الشُّحَّ: هو شدة الحرص علىٰ الشيء، والإحفاء في طلبه، والاستقصاء في تحصيله، وجَشَعُ النفس عليه. والبخل: منعُ إنفاقه بعد حصوله، وحُبُّه وإمساكُه، فهو شحيحٌ قبل حصوله، بخيلٌ بعد حصوله.

فالبخلُ ثمرة الشُّحِّ، والشُّحُّ يدعو إلىٰ البخل، والشُّحُّ كامِنٌ في النفس، فمن بخل فقد أطاع شُحَّه، ومن لم يبخل فقد عصىٰ شُحَّه وَوُقِي شرَّه، وذلك هو المفلح ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

والسخاء نوعان:

فأشرفهما: سخاؤك عما بيد غيرك.

والثاني: سخاؤك ببذل ما في يدك.

فقد يكون الرجل من أسخىٰ الناس وهو لا يعطيهم شيئًا؛ لأنه سخا عما في أيديهم، وهذا معنىٰ قول بعضهم: السخاء أن تكون بمالك متبرِّعًا، وعن مال غيرك متورِّعًا.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية – قدس الله روحه – يقول: «إنَّ أوحىٰ الله إلىٰ إبراهيم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أتدري لم اتخذتك خليلًا؟ قال: لا. قال: لأني رأيت العطاء

---

(١) أخرجه الطبري في «التفسير» (٢٣/ ٢٨٦) عن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

أحبَّ إليك من الأخذ».

وهذه صفة من صفات الرب جَلَّجَلَالُهُ فإنه يعطي ولا يأخذ، ويُطعِم ولا يُطْعَم، وهو أجود الأجودين، وأكرم الأكرمين، وأحبُّ الخلق إليه من اتصف بصفاته؛ فإنه كريم يحب الكريم من عباده، وعالم يحب العلماء، وقادر يحب الشجعان، وجميل يحب الجمال.

وفي «الترمذي»[١] أيضا في «كتاب البر» قال: حدثنا الحسن بن عرفة: حدثنا سعيد بن محمد الورَّاق، عن يحيىٰ بن سعيد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: **«السَخِيُّ قريبٌ من الله، قريب من الجنةِ، قريب من الناسِ، بعيدٌ من النار. والبخيلُ بعيد من الله، بعيد من الجنة، بعيد من الناس، قريب من النار. ولَجَاهل سَخِيٌّ أحبُّ إلىٰ الله تعالىٰ من عابدٍ بخيل»**.

وفي «الصحيح»: **«إنَّ اللهَ تعالىٰ وِتْر يحبُّ الوِتْرَ»**[٢].

وهو سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ رحيم يحب الرحماء، وإنما يرحم من عباده الرُّحماء، وهو سِتِّيرٌ يحبُّ من يستر علىٰ عباده، وعفوٌّ يحب من يعفو عنهم، وغفورٌ يحب من يغفر لهم، ولطيفٌ يحب اللطيف من عباده، ويبغض الفَظَّ الغليظ القاسي الجَعْظَرِيَّ الجَوَّاظ[٣] ورفيقٌ يحب الرفق، وحليمٌ يحب الحلم، وبَرٌّ يحب البِرّ وأهله، وعَدْلٌ يحب العدل، وقابلٌ للمعاذير يحب من يقبل معاذير عباده.

---

(١) برقم (١٩٦١)، وقال أبو حاتم الرازي كما «العلل» (٢/ ٢٨٣- ٢٨٤): «حديث منكر».
(٢) البخاري (٦٤١٠)، ومسلم (٢٦٧٧).
(٣) الجعظري: الفظ الغليظ. الجواظ: البَطِر المتكبر المختال في مِشيته.

ويجازي عبده بحَسَب هذه الصفات فيه وجودًا وعدمًا، فمن عفا عفا عنه، ومن غَفَر غَفَر له، ومن سامح سامحه، ومن حاقَقَ حاقَقَه، ومن رفق بعباده رفق به، ومن رحم خلقه رحمه، ومن أحسن إليهم أحسن إليه، ومن صفح عنهم صفح عنه، ومن جاد عليهم جاد عليه، ومن نفعهم نفعه، ومن سترهم ستره، ومن تتبع عوراتِهم تتبع عورته، ومن هتكهم هتكه وفضحه، ومن منعهم خيرَه منعه خيره، ومن شاقَّ اللهَ شاقَّ اللهُ تعالىٰ به، ومن مكر مكر به، ومن خادَع خادَعه، ومن عامل خلقه بصفةٍ عامله الله تعالىٰ بتلك الصفة بعينها في الدنيا والآخرة؛ فالله تعالىٰ لعبده علىٰ حسب ما يكون العبد لخلقه.

ولهذا جاء في الحديث: **«منْ سَتَر مسلمًا سَتَرَه الله تعالىٰ في الدنيا والآخرة، ومن نَفَّس عن مؤمن كُرْبةً مِنْ كُرَبِ الدُّنيا نَفَّس الله تعالىٰ عنه كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يوم القيامة، ومَنْ يسَّر علىٰ مُعْسِرٍ يسَّر الله تعالىٰ عليه حسابه»**[1].

فكما تدين تُدان. وَكُنْ كيف شئت؛ فإن الله تعالىٰ لك كما تكون أنت له ولعباده.

والمقصود أن الكريم المتصدِّق يعطيه الله ما لا يعطي البخيل المُمْسِك، ويُوسِّع عليه في ذاته، وخُلُقِه، ورزقه، ونفسه، وأسباب معيشته، جزاءً له من جنس عمله.

❖❖❖❖❖

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

فصل

ص٨٣ في مثال ذكر الله

وقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وأمَرَكم أن تذكروا الله تعالىٰ؛ فإن مثَلَ ذلك مثَلُ رجلٍ خرج العدو في أثَره سِراعًا، حتىٰ إذا أتىٰ علىٰ حِصْنٍ حصينٍ فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا يُحرِز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله**».

فلو لم يكن في الذكر إلا هذه الخصلة الواحدة لكان حقيقًا بالعبد ألا يفتر لسانه من ذكر الله تعالىٰ، وألا يزال لَهِجًا بذكره؛ فإنّه لا يُحْرِزُ نفسه من عدوه إلا بالذكر، ولا يَدْخُل عليه العدو إلا من باب الغفلة، فهو يَرْصُدُه، فإذا غفل وثَبَ عليه وافترسه، وإذا ذكر الله تعالىٰ انخنس عدو الله وتصاغر وانقمع، حتىٰ يكون كالوَصْع[1] وكالذباب، ولهذا سُمِّي الوسواسَ الخناس، أي: يوسوس في الصدور، فإذا ذُكِر الله تعالىٰ خَنَس، أي: كف وانقبض.

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «الشيطان جاثم علىٰ قلب ابن آدم، فإذا سها وغفَل وَسْوَسَ، فإذا ذكر الله تعالىٰ خنَس»[2].

وقال معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ألا أخبركم بخير أعمالِكم وأزكاها عند مَليكِكُم، وأرفعِها في درجاتِكم، وخيرٍ لكم من إنفاق الذَّهب والفضَّة، ومن أن تلقَوا عدوَّكم فتضربوا أعناقَهم، ويضربوا أعناقكم؟**» قالوا: بلىٰ يا رسول

---

(١) الوصع: الصغير من العصافير. «اللسان» (١٥/ ٣١٥).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣/ ٣٦٩- ٣٧٠)، واختاره الضياء في «المختارة» (١٠/ ٣٦٧)، وسنده صحيح.

الله، قال: «ذِكْرُ الله عَزَّوَجَلَّ»[(١)].

وفي «صحيح مسلم»[(٢)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسير في طريق مكة، فمر على جبل يقال له «جُمْدَان» فقال: **«سيروا، هذا جُمْدَان، سَبَق المُفَرِّدُونَ»** قيل: وما المُفَرِّدون يا رسول الله؟ قال: **«الذّاكرون الله كثيرًا والذّاكرات»**.

وفي «سنن أبي داود»[(٣)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«ما من قومٍ يقومون من مجلسٍ لا يذكرون الله تعالىٰ فيه إلا قاموا عن مِثْلِ جِيفة حمارٍ، وكان عليهم حسرة»**.

وفي «الترمذي» عن عبد الله بن بسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلًا قال: يا رسول الله، إن أبواب الخير كثيرة، ولا أستطيع القيام بكلِّها، فأخبرني بشيءٍ أتشبَّثُ به، ولا تُكْثِرْ عليَّ فأنسىٰ.

وفي رواية: إن شرائعَ الإسلام قد كَثُرتْ عليَّ، وأنا قد كَبِرْتُ، فأخبرني بشيء أتشبَّث به، ولا تُكْثِرْ عليَّ فأنسىٰ. قال: **«لا يزالُ لِسَانُكَ رَطْبًا بذكر الله تعالىٰ»**[(٤)].

وفي «صحيح البخاري»[(٥)] عن أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«مَثَلُ الذي يذكرُ رَبَّه والذي لا يذكرُ ربَّه مَثَلُ الحيِّ والميِّت»**.

---

(١) أخرجه أحمد (٧/ ٣٦٧)، وسنده منقطع. انظر: «الترغيب والترهيب» (٢/ ٣٦٨).
(٢) برقم (٢٦٧٦).
(٣) برقم (٤٨٢١)، وصححه الحاكم (١/ ٤٩٢).
(٤) أخرجه الترمذي (٣٣٧٥) وقال: «حسن غريب»، وصححه ابن حبان (٨١٤).
(٥) برقم (٦٤٠٧).

وفي «الصحيحين»[(١)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يقول اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أنا عند ظَنِّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرتُه في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرتُه في ملأٍ خيرٍ منهم، وإن تقرَّب إليَّ شِبْرًا تقرَّبْتُ إليه ذراعًا، وإن تقرَّب إليَّ ذراعًا تقَربْتُ إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولةً**».

وفي «الترمذي» أيضًا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الله عَزَّوَجَلَّ أنه يقول: «**إنَّ عبدي كُلَّ عبدي الذي يذكرني وهو مُلاقٍ قِرْنَهُ**»[(٢)].

وهذا الحديث هو فصل الخطاب في التفضيل بين الذاكر والمجاهد، فإن الذاكرَ المجاهد أفضلُ من الذاكر بلا جهادٍ والمجاهدِ الغافلِ، والذاكرُ بلا جهادٍ أفضلُ من المجاهد الغافل عن الله تعالىٰ، فأفضل الذاكرين المجاهدون، وأفضل المجاهدين الذاكرون.

قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[الأنفال: ٤٥] فأمرهم بالذكر الكثير والجهاد معًا ليكونوا علىٰ رجاء من الفلاح، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾[الأحزاب: ٤١] وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾[الأحزاب: ٣٥] أي: كثيرًا.

وقال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗا﴾[البقرة: ٢٠٠] فقَيَّد الأمر بالذكر بالكثرة والشدة؛ لشدة حاجة العبد

---

(١) البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٨٠) وضعفه.

إليه، وعدم استغنائه عنه طرفة عين، فأيُّ لحظةٍ خلا فيها العبدُ عن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ كانت عليه لا له.

وقال أبو الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «لكل شيء جِلاء، وإنَّ جِلاءَ القلوبِ ذِكْرُ الله عَزَّوَجَلَّ»[1].

وذكر البيهقيُّ[2] مرفوعًا من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان يقول: «**لكل شيء سِقالة، وإنَّ سِقالةَ القلوبِ ذكرُ الله** عَزَّوَجَلَّ **وما من شيء أنجىٰ من عذاب الله** عَزَّوَجَلَّ **من ذكر الله**» قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ؟ قال: «**ولو أنْ يَضربَ بسيفه حتىٰ ينقطع**».

ولا ريب أن القلب يصدأ كما يصدأ النحاس والفضة وغيرهما، وجِلاؤه بالذكر، فإنه يجلوه حتىٰ يدعه كالمِرآة البيضاء؛ فإذا تُرِك الذكرُ صَدِئ، فإذا ذُكِر جَلَاه.

وصدأُ القلب بأمرين؛ بالغفلة والذنب، وجلاؤه بشيئين؛ بالاستغفار والذكر، فمن كانت الغفلةُ أغلبَ أوقاته كان الصدأ متراكبًا علىٰ قلبه، وصداؤه بحسب غفلته.

وإذا صَدِئ القلبُ لم تنطبع فيه صُوَر المعلومات علىٰ ما هي عليه، فيرىٰ الباطلَ في صورة الحق، والحقَّ في صورة الباطل؛ لأنه لمَّا تراكم عليه الصدأ أَظْلَم، فلم تظهر فيه صُوَر الحقائق كما هي عليه، فإذا تراكم عليه الصدأ واسْوَدَّ، ورَكِبَه الرَّانُ، فَسَدَ تصوُّره وإدراكه، فلا يقبل حقًّا ولا ينكر باطلًا، وهذا أعظم عقوبات القلب.

---

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٤١٩).
(٢) في «شعب الإيمان» (٢/ ٤١٨- ٤١٩) وسنده ضعيف جدًّا.

وأصلُ ذلك من الغفلة واتباع الهوىٰ؛ فإنهما يَطْمسان نورَ القلب ويُعميان بصرَه، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾[الكهف: ٢٨].

❁❁❁❁❁

فصل

ص: ٩٤ في فوائد الذكر

وفي الذكر نحوٌ من مائة فائدة:

إحداها: أنه يطرد الشيطان ويَقْمَعُه ويَكْسِرُه.

الثانية: أنه يُرضِي الرحمن عَزَّوَجَلَّ.

الثالثة: أنه يزيل الهم والغم عن القلب.

الرابعة: أنه يجلب للقلب الفرحَ والسرور والبَسْط.

الخامسة: أنه يُقَوِّي القلب والبدن.

السادسة: أنه يُنَوِّر الوجه والقلب.

السابعة: أنه يَجْلِب الرزق.

الثامنة: أنه يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنَّضْرة.

التاسعة: أنه يورثه المحبة التي هي رُوح الإسلام.

العاشرة: أنه يورثه المراقبة حتىٰ يُدْخِلَه في باب الاحسان.

الحادية عشرة: أنه يورثه الإنابة، وهي الرجوع إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ.

الثانية عشرة: أنه يُورِثه القُرْبَ منه.

الثالثة عشرة: أنه يفتح له بابًا عظيمًا من أبواب المعرفة.

الرابعة عشرة: أنه يُورِثه الهيبة لربه عَزَّوَجَلَّ وإجلالَه.

الخامسة عشرة: أنه يورثه ذكرَ الله تعالىٰ له، كما قال تعالىٰ: ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾[البقرة: ١٥٢] ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفىٰ بها فضلًا وشرفًا.

السادسة عشرة: أنه يورث حياة القلب.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية – قدس الله روحه – يقول: الذكرُ للقلب مثلُ الماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء!

السابعة عشرة: أنه قُوتُ القلب والروح؛ فإذا فَقَده العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قُوتِه.

وحضرتُ شيخ الإسلام ابن تيمية مرةً صلىٰ الفجر، ثم جلس يذكر الله تعالىٰ إلىٰ قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إليَّ وقال: هذه غُدْوَتي، ولو لم أتَغَدَّ هذا الغداء لسقطت قوَّتِي. أو كلامًا قريبًا من هذا.

وقال لي مرة: لا أترك الذكر إلا بنية إجمام نفسي وإراحتها؛ لأستعِدَّ بتلك الراحة لذكرٍ آخر. أو كلامًا هذا معناه.

الثامنة عشرة: أنه يورث جَلاء القلب من صَداه.

التاسعة عشرة: أنه يَحُطُّ الخطايا ويُذْهِبها.

العشرون: أنه يزيل الوحشة بين العبد وبين ربه تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

الحادية والعشرون: أن ما يَذْكُر به العبدُ ربَّه عَزَّوَجَلَّ من جلاله وتسبيحه وتحميده يُذَكِّرُ بصاحبه عند الشدة.

الثانية والعشرون: أن العبد إذا تعرَّف إلىٰ الله تعالىٰ بذكره في الرخاء عرَفه في الشدّة.

الثالثة والعشرون: أنه مَنجاةٌ مِنْ عذاب الله تعالىٰ.

الرابعة والعشرون: أنه سبب نُزول السكينة، وغِشْيان الرحمة، وحُفُوفِ الملائكة بالذاكر، كما أخبر به النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

الخامسة والعشرون: أنه سبب اشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والفحش والباطل.

السادسة والعشرون: أنّ مجالسَ الذكر مجالسُ الملائكة، ومجالسَ اللغو والغفلة مجالسُ الشياطين.

السابعة والعشرون: أنه يَسْعَدُ الذاكرُ بذكره، ويَسْعَدُ به جليسُه، وهذا هو المبارك أينما كان.

الثامنة والعشرون: أنه يؤمِّن العبدَ من الحسرة يوم القيامة.

التاسعة والعشرون: أنه مع البكاء في الخلوة سببٌ لإظلال الله تعالىٰ العبدَ يوم الحَرِّ الأكبر في ظِلِّ عرشه.

الثلاثون: أن الاشتغال به سببٌ لعطاء الله الذاكرَ أفضلَ ما يُعْطِي السائلين.

الحادية والثلاثون: أنه أيسر العبادات، وهو من أجلِّها وأفضلها.

الثانية والثلاثون: أنه غِراسُ الجنة.

فقد روىٰ الترمذي(١) من حديث أبي الزبير، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من قال: سبحان الله وبِحَمْده، غُرِسَتْ له نخلةٌ في الجنَّة**».

الثالثة والثلاثون: أن العطاء والفضل الذي رُتِّب عليه لم يُرَتَّبْ علىٰ غيره من الأعمال.

ففي «الصحيحين»(٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من قال: (لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له، له المُلْكُ وله الحمدُ وهو علىٰ كُلِّ شيءٍ قدير) في يومٍ مائة مرةٍ، كانت له عَدْل عَشْرِ رقابٍ، وَكُتِبَتْ له مائةُ حسَنةٍ، ومُحِيَتْ عنهُ مائةُ سيئةٍ، وكانت له حِرْزًا من الشيطان يومه ذلك حتىٰ يُمسي، ولم يأت أَحَدٌ بأفضلَ مما جاء به إلَّا رجلٌ عمل أكثر منه. ومن قال: (سبحان الله وبحمده) في يوم مائةَ مرَّةٍ،**

---

(١) برقم (٣٤٦٤) وصححه، وصححه أيضا ابن حبان (٨٢٦).

(٢) البخاري (٣٢٩٣)، ومسلم (٢٦٩١).

حُطَّتْ خَطاياه وإن كانت مثلَ زَبَدِ البحر».

وفي «صحيح مسلم»[(١)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لأن أقولَ: (سبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر) أحَبُّ إليَّ مما طَلَعتْ عليه الشَّمس**».

وفي «الترمذي»[(٢)] من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من قال حين يُصْبِح أو يُمْسِي: (اللهم إنّي أصبحتُ أُشْهِدُكَ، وأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرشِكَ، وملائِكَتَكَ، وجميع خلقك، أنَّك أنت الله لا إله إلَّا أنت، وأن محمدًا عبدك ورسولُك) أعْتَق اللهُ رُبعَه من النَّار، ومن قالها مرَّتين أعتق اللهُ نصفَه من النار، ومن قالها ثلاثًا أعتق الله ثلاثةَ أرباعِه من النار، ومن قالها أربعًا أعتقهُ الله تعالىٰ من النار**».

الرابعة والثلاثون: أن دوامَ ذِكر الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُوجِب الأمان من نسيانه الذي هو سبب شقاء العبد في معاشه ومعاده؛ فإن نسيان الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يوجب نسيانَ نفسِه ومصالحِها.

قال تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ [الحشر: ١٩] وإذا نسي العبدُ نفسه أعرض عن مصالحها ونَسِيَها واشتغل عنها، فهلكَتْ وفسدت ولا بُدَّ.

ولو لم يكن في فوائد الذكر وإدامته إلا هذه الفائدةُ وحدَها لكفىٰ بها.

---

(١) برقم (٢٦٩٥).

(٢) برقم (٣٥٠١) وقال: «حديث غريب»، وأخرجه أيضًا أبو داود (٥/ ٣٨٦- ٣٨٧) واللفظ له، وله طريق آخر اختاره الضياء في «المختارة» (٧/ ٢٢٥).

فمن نسي الله تعالىٰ أنساه نفسه في الدنيا، ونسيه في العذاب يوم القيامة. قال تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ [طه: ١٢٤ -١٢٦] أي: تُنْسىٰ في العذاب كما نسيتَ آياتنا، فلم تذكرها ولم تعمل بما فيها.

وإعراضُه عن ذكره يتناول إعراضَه عن الذكر الذي أنزله، وهو كتابه، وهو المراد، ويتناول إعراضَه عن أن يَذْكُرَ ربَّه بكتابه، وأسمائه، وصفاته، وأوامره، وآلائه، ونعمه؛ فإن هذه كلها توابع إعراضه عن كتاب ربه تعالىٰ.

وهذا عكسُ أهل السعادة والفلاح؛ فإن حياتهم في الدنيا أطيب الحياة، وفي البرزخ، ولهم في الآخرة أفضل الثواب، قال تعالىٰ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ فهذا في الدنيا، ثم قال: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[النحل: ٩٧] فهذا في البرزخ والآخرة.

والاقبالُ علىٰ الله تعالىٰ، والإنابةُ إليه، والرضا به وعنه، وامتلاءُ القلب من محبته، واللَّهجُ بذكره، والفرحُ والسرورُ بمعرفته ثوابٌ عاجل، وجَنَّةٌ حاضرة، وعَيْشٌ لا نسبة لعيش الملوك إليه البتة.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يقول: «إنّ في الدنيا جَنَّةً من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة».

وقال لي مرة: «ما يصنع أعدائي بي! أنا جنتي وبستاني في صدري، أين رُحْتُ

فهي معي لا تفارقني، أنا حبسي خَلوةٌ، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة».

وكان يقول في محبسه بالقلعة: «لو بذلتُ لهم ملءَ هذه القلعة ذهبًا ما عدل عندي شكرَ هذه النعمة» أو قال: «ما جزيتُهم علىٰ ما تسبَّبوا لي فيه من الخير» ونحو هذا.

وكان يقول في سجوده وهو محبوس: «اللهم أعنِّي علىٰ ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» ما شاء الله.

وقال لي مرة: «المحبوس مَن حُبِس قلبُه عن ربه تعالىٰ، والمأسور من أسَرَه هواه».

ولما أُدْخِل إلىٰ القلعة وصار داخل سورها، نظر إليه وقال: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾[الحديد: ١٣].

وعَلِمَ اللهُ ما رأيت أحدًا أطيبَ عيشًا منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش، وخلافِ الرفاهية والنعيم، بل ضِدِّها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرجاف، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشًا، وأشرحهم صدرًا، وأقواهم قلبًا، وأسرِّهم نفسًا، تلوح نضرة النعيم علىٰ وجهه، وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت منا الظنون، وضاقت بنا الأرض، أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمعَ كلامَه، فيذهب ذلك كلُّه، وينقلب انشراحًا وقوةً ويقينًا وطمأنينةً.

الخامسة والثلاثون: أن الذكر يُسَيِّر العبدَ وهو قاعد علىٰ فراشه، وفي سوقه، وفي

حال صحته وسقمه، وفي حال نعيمه ولذته، ومعاشه، وقيامه وقعوده واضطجاعه، وسفره وإقامته، فليس في الأعمال شيءٌ يَعُمُّ الأوقات والأحوال مثلَه، حتىٰ إنه يُسَيِّر العبدَ وهو نائمٌ علىٰ فراشه، فيسبق القائم مع الغفلة، فيصبح هذا وقد قطع الرَّكْبَ وهو مُسْتَلْقٍ علىٰ فراشه، ويصبح ذلك القائم الغافل في ساقَةِ الرَّكْبِ، وذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء.

السادسة والثلاثون: أن الذِّكر نورٌ للذاكر في الدنيا، ونورٌ له في قبره، ونورٌ له في معاده، يسعىٰ بين يديه علىٰ الصراط، فما استنارت القلوب والقبور بمثل ذكر الله تعالىٰ.

قال الله تعالىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[الأنعام: ١٢٢] فالأول هو المؤمن استنار بالإيمان بالله ومحبته ومعرفته وذكره، والآخر هو الغافل عن الله تعالىٰ المعرض عن ذكره ومحبته.

والشأنُ كلُّ الشأنِ والفلاحُ كلُّ الفلاحِ في النور، والشقاءُ كلُّ الشقاءِ في فواته.

ولهذا كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبالغ في سؤاله ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حين يسأله أن يجعله في لحمه، وعظامه، وعَصَبِه، وشعره، وبَشَره، وسمعه، وبصره، ومن فوقه، ومن تحته، وعن يمينه، وعن شماله، وخلفَه، وأمامَه، حتىٰ يقول: «**واجعلني نورًا**»[1].

فسأل ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يجعل النور في ذاته الظاهرة والباطنة، وأن يجعله محيطًا

(١) أخرجه مسلم (٧٦٣/ ١٨٧).

به من جميع جهاته، وأن يجعل ذاته وجُمْلَته نورًا.

فدينُ الله عَزَّوَجَلَّ نورٌ، وكتابه نورٌ، وداره التي أعدها لأوليائه نورٌ يتلألأ، وهو تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ نور السماوات والأرض، ومن أسمائه النور، والظلماتُ أشرقت لنور وجهه.

وقد ضرب سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لنوره في قلب عبده مثلًا لا يعقله إلا العالمون، فقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[النور: ٣٥].

قال أبيٌّ بن كعب: «مَثَلُ نورِه في قلب المسلم»[(١)].

وهذا هو النور الذي أودعه في قلبه مِنْ معرفته ومحبته والإيمان به وذكره، وهو نوره الذي أنزله إليهم، فأحياهم به وجعلهم يمشون به بين الناس، وأصلُه في قلوبهم، ثم تَقْوَىٰ مادَّتُه وتتزايد حتىٰ تظهر علىٰ وجوههم وجوارحهم وأبدانهم، بل وثيابهم ودُورهم، يُبْصِرُه مَنْ هو مِنْ جنسهم، وسائرُ الخلق له منكرون.

فإذا كان يوم القيامة برز ذلك النور، وصار بأيمانهم يسعىٰ بين أيديهم في ظلمة الجِسْر حتىٰ يقطعوه، وهم فيه علىٰ حسب قوَّتِه وضعفه في قلوبهم في الدنيا.

فليتأمل اللَّبيبُ هذه الآية العظيمة، فَذَكَر سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ نورَه في السماوات

(١) ورد نحوه عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أخرجه الطبري (١٩/ ١٧٩).

والأرض، ونورَه في قلوب عباده المؤمنين، النورَ المعقولَ المشهودَ بالبصائر والقلوب الذي استنارت به البصائرُ والقلوبُ، والنورَ المحسوسَ المشهود بالأبصارِ الذي استنارت به أقطار العالم العُلْوي والسُّفْلِي، فهما نوران عظيمان، وأَحدهما أعظم من الآخر.

وكما أنه إذا فُقِد أحدهما من مكان أو موضع لم يَعِشْ فيه آدميٌّ ولا غيرُه؛ لأن الحيوان إنما يتكوَّن حيثُ النور، ومواضعُ الظلمة التي لا يشرق عليها نورٌ لا يعيشُ فيها حيوانٌ، ولا يتكوَّنُ البتة، فكذلك أمةٌ فُقِد منها نورُ الوحي والإيمان، وقلبٌ فُقِد منه هذا النور، ميّتٌ ولا بُدَّ، لا حياة له البتة، كما لا حياة للحيوان في مكانٍ لا نور فيه.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يَقْرِنُ بين الحياة والنور، كما في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[الأنعام: ١٢٢] وكذلك قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾[الشورى: ٥٢].

والمقصود أن الذكر يُنَوِّر القلب والوجه والأعضاء، وهو نور العبد في دنياه، وفي البرزخ، وفي يوم القيامة.

ص: ١٥٥

أعمال العبد وأقواله لها نور بحسب نور الإيمان في قلبه

فصل

وعلىٰ حسب نور الإيمان في قلب العبد تَخْرُجُ أعماله وأقواله ولها نورٌ وبرهان،

حتىٰ إن من المؤمن من يكون نورُ أعماله إذا صَعِدت إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كَنُورِ الشمس، وهكذا نور رُوحِه إذا قَدِم بها علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ وهكذا يكون نورهُ السَّاعي بين يديه علىٰ الصراط، وهكذا يكون نور وجهه في يوم القيامة، والله تعالىٰ المستعان وعليه التكلان.

السابعة والثلاثون: أن الذكر رأس الأمور، وطريقُ عامَّةِ الطائفة، ومَنْشُور الوَلاية، فمن فُتِح له فيه فقد فُتِح له باب الدخول علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ.

الثامنة والثلاثون: أن في القلب خَلَّةً وفاقةً لا يَسُدُّها شيءٌ البتة إلا ذكر الله عَزَّوَجَلَّ فإذا صار شِعارَ القلب، بحيث يكون هو الذاكر بطريق الأصالة، واللسان تَبَعٌ له، فهذا هو الذكر الذي يَسُدُّ الخَلَّة ويُغْنِي الفاقة.

التاسعة والثلاثون: أن الذكر يجمع المتفرِّق، ويفرِّق المُجْتَمِع، ويقرِّب البعيد، ويُبَعِّد القريب؛ فيجمع ما تفرَّق علىٰ العبد من قلبه وإرادته، وهُمومه وعُزُومه.

ويُفَرِّق ما اجتمع عليه من الهموم والغموم والأحزان والحسراتِ، علىٰ فَوْتِ حُظُوظه ومطالبه.

ويُفَرِّقُ أيضًا ما اجتمع عليه من ذنوبه وخطاياه وأوزاره، حتىٰ تتساقط عنه وتتلاشىٰ وتَضْمَحِلَّ.

ويفرِّق أيضًا ما اجتمع علىٰ حربه من جند الشيطان.

وأما تقريبه البعيد؛ فإنه يقرِّب إليه الآخرة التي يُبَعِّدها منه الشيطان والأمل.

ويُبَعِّدُ القريب إليه، وهي الدنيا التي هي أدنىٰ إليه من الآخرة.

ولا سبيل إلىٰ هذا إلا بدوام الذكر، والله المستعان.

الأربعون: أن الذكر يُنَبِّه القلب من نومه، ويُوقِظُه من سِنَته.

فإذا استيقظ وعلم ما فاته في نَوْمَتِه شَدَّ المِئْزر، وأحيا بقية عمره، واستدرك ما فاته.

الحادية والأربعون: أن الذكر شجرةٌ تُثْمِر المعارف والأحوال التي شمَّر إليها السالكون.

وذلك أن العبد إن لم يستيقظ لم يُمْكِنْه قطعُ منازل السير، ولا يستيقظ إلا بالذكر، كما تقدم.

الثانية والأربعون: أن الذاكر قريب من مذكوره، ومذكورُه معه، وهذه المعية مَعِيَّةٌ خاصةٌ غيرُ مَعِيَّةِ العلم والإحاطة العامة، فهي مَعِيَّةٌ بِالقُرْبِ والولاية والمحبة والنصرة والتوفيق، كقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾[النحل: ١٢٨] ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾[البقرة: ٢٤٩].

وللذاكر من هذه المعية نصيب وافر، كما في الحديث الإلهي: «**أنا مع عبدي ما ذَكَرَني وتَحَرَّكَتْ بي شَفَتَاه**»[(١)].

الثالثة والأربعون: أن الذكر يَعْدِلُ عتق الرقاب، ونفقة الأموال، والحمل علىٰ

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٧٩٢)، وصححه ابن حبان (٨١٥).

الخيل في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ ويَعْدِلُ الضربَ بالسيف في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ.

الرابعة والأربعون: أن الذكر رأس الشكر، فما شَكَر الله تعالىٰ من لم يذكره.

وذكر البيهقيُّ[(١)] عن زيد بن أسلم، أن موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «يا رب، قد أنْعَمْتَ عليَّ كثيرًا، فَدُلَّني علىٰ أن أشكرك كثيرًا. قال: اذكرني كثيرًا؛ فإذا ذكرتني كثيرًا فقد شكرتني كثيرًا، وإذا نسيتني فقد كفرتني».

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمعاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«والله يا معاذ إني لأُحِبُّك، فلا تَنْسَ أن تَقُولَ دُبُرَ كُلِّ صلاةٍ: اللَّهُمَّ أعِنِّي علىٰ ذِكْرِكَ، وشُكْرِكَ، وحُسْنِ عِبَادتِكَ»**[(٢)].

فجمع بين الذِّكرِ والشُّكْر كما جمع سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بينهما في قوله تعالىٰ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[البقرة:١٥٢] فالذكر والشكر جِماعُ السعادة والفلاح.

الخامسة والأربعون: أن أكرم الخلق علىٰ الله تعالىٰ من المتقين مَنْ لا يزال لسانه رَطْبًا بذكره، فإنه اتَّقاه في أمره ونهيه، وجَعَل ذكره شعاره.

فالتقوىٰ أوجبت له دخول الجنة والنجاة من النار، وهذا هو الثواب والأجر.

والذِّكرُ يوجب له القربَ من الله عَزَّوَجَلَّ والزلفىٰ لديه، وهذه هي المنزلة.

وعُمَّال الآخرة علىٰ قسمين: منهم من يعمل علىٰ الأجر والثواب، ومنهم من يعمل علىٰ المنزلة والدرجة، فهو ينافس غيره في الوسيلة والمنزلة عند الله تعالىٰ

(١) في «شعب الإيمان» (٢/ ٥٧٤).

(٢) أخرجه أبو داود (١٥١٧)، والنسائي (١٣٠٢)، وصححه ابن خزيمة (٧٥١)، وابن حبان (٢٠٢٠).

ويسابق إلىٰ القُرْبِ منه.

فالعمال عَمِلوا علىٰ الأجور، والعارفون عَمِلوا علىٰ المراتب والمنزلة والزلفىٰ عند الله، وأعمالُ هؤلاء القلبيةُ أكثرُ من أعمال أولئك، وأعمالُ أولئك البدنيةُ قد تكون أكثرَ من أعمال هؤلاء.

وذكر البيهقي[١] عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: لمَّا وفد موسىٰ عَلَيْهِٱلسَّلَامُ إلىٰ طور سيناء قال: يا رَبِّ، أيُّ عِبادكَ أحَبُّ إليك؟ قال: الذي يذكرني ولا ينساني.

السادسة والأربعون: أن في القلب قسوةً لا يُذِيبها إلَّا ذكرُ الله تعالىٰ، فينبغي للعبد أن يداوي قسوة قلبه بذكر الله تعالىٰ.

وذَكَر حمادُ بن زيدٍ عن المُعَلَّىٰ بن زياد أن رجلًا قال للحسن: يا أبا سعيد، أشكو إليك قسوة قلب! قال: أَذِبْهُ بالذِّكر[٢].

السابعة والأربعون: أن الذكر شفاء القلب ودواؤه، والغفلة مرضه، فالقلوب مريضة، وشفاؤها ودواؤها في ذكر الله تعالىٰ.

قال مكحول: ذِكْرُ الله تعالىٰ شفاء، وذِكْرُ الناس داء.

كما قيل:

إذا مَرِضْنا تَداوَيْنا بذِكْرِكُمُ فَنَتْرُك الذِّكْرَ أحْيَانًا فَنَنْتَكِسُ

(١) في «شعب الإيمان» (٢/ ٥٧٦- ٥٧٧).

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٥٨٨).

الثامنة والأربعون: أن الذكر أصل موالاة الله عَزَّوَجَلَّ ورأسُها، والغفلة أصل معاداته وأُسُّها، فإن العبد لا يزال يذكر ربه عَزَّوَجَلَّ حتىٰ يحبه فيواليه، ولا يزال يغفل عنه حتىٰ يبغضه فيعاديه.

التاسعة والأربعون: أنه ما اسْتُجْلِبَتْ نعم الله عَزَّوَجَلَّ واسْتُدْفِعَتْ نِقَمُه بمثل ذكر الله تعالىٰ، فالذكر جلَّابٌ للنِّعَم دفَّاعٌ للنِّقَم.

الخمسون: أن الذكر يوجب صلاة الله عَزَّوَجَلَّ وملائكته علىٰ الذاكر. ومن صلىٰ اللهُ تعالىٰ عليه وملائكتُه فقد أفلح كل الفلاح وفاز كل الفوز.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[الأحزاب: ٤١-٤٣].

الحادية والخمسون: أن من شاء أن يسكن رياض الجنة في الدنيا فَلْيَستَوطِن مجالسَ الذكر؛ فإنها رياضُ الجنة.

وقد ذكر ابنُ أبي الدنيا وغيره من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: خرجَ علينا رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقال: «**يا أيُّها النَّاس ارْتَعُوا في رياض الجَنَّة**» قلنا: يا رسول الله، وما رِياضُ الجنّة؟ قال: «**مَجالسُ الذِّكْر**»[1].

الثانية والخمسون: أن مجالسَ الذكر مجالسُ الملائكة، فليس مِنْ مجالس

(١) أخرجه أبو يعلىٰ في «مسنده» (٣/ ٣٩٠)، والحاكم (١/ ٤٩٤)، وسنده ضعيف.

الدنيا لهم مجلس إلا مجلس يُذْكَرُ الله تعالىٰ فيه، كما أخرجا في «الصحيحين»[(١)] من حديث الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّ للهِ ملائكةً فُضُلًا عن كُتَّابِ الناس، يَطُوفُون في الطُّرُقِ يَلْتَمِسُون أهلَ الذِّكْرِ، فإذا وَجَدُوا قومًا يَذكرون الله تعالىٰ تَنادَوا: هَلُمُّوا إلىٰ حاجَتِكُم**».

قال: «**فيَحُفُّونَهُم بأجْنِحَتهم إلىٰ السَّماء الدُّنيا**».

قال: «**فيسألُهم ربُّهم تعالىٰ، وهو أعلم بهم: ما يَقُولُ عِبَادي؟**» قال: «**يقولون: يسَبِّحُونَكَ ويُكَبِّرونَكَ، ويَحمَدُونَك، ويُمَجِّدُونَكَ**».

قال: «**فيقول: هل رَأَوني؟**» قال: «**فيقولون: لا واللهِ ما رَأَوك**».

قال: «**فيقول: وكيف لو رَأَوني؟**» قال: «**فيقولون: لو رَأَوك كانوا أشدَّ لك عبادةً، وأشدَّ لك تحميدًا وتمجيدًا، وأكثر لك تسبيحًا**».

قال: «**فيقول: ما يسألوني؟**» قال: «**يسألونك الجَنَّة**».

قال: «**فيقول: وهل رَأَوها؟**» قال: «**يقولون: لا والله يا رَبِّ، ما رَأَوها**».

قال: «**فيقول: فكيف لو أنَّهم رأوها؟**» قال: «**يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشدَّ عليها حرصًا، وأشدَّ لها طلبًا، وأعظمَ فيها رغبةً**».

قال: «**فيقول: فمِمَّ يَتَعَوَّذُون؟**» قال: «**يقولون: من النار**».

---

(١) البخاري (٦٤٠٨)، ومسلم (٢٦٨٩).

قال: «**يقول: وهل رأوها؟**» قال: «**يقولون: لا واللهِ يا ربِّ ما رأوها**».

قال: «**يقول: فكيف لو رأوها؟**» قال: «**يقولون: لو رأوها كانوا أشدَّ منها فرارًا، وأشَدَّ لها مَخَافَةً**».

قال: «**يقول: فأُشْهِدُكم أنِّي قد غَفَرْتُ لهم. فيقول مَلَكٌ من الملائكة: فيهم فلانٌ ليس منهم، إنَّما جاء لِحاجةٍ! قال: هم الجُلَسَاءُ لا يَشْقَىٰ بهم جَلِيسُهم**».

الثالثة والخمسون: أن الله عَزَّوَجَلَّ يباهي بالذاكرين ملائكتَه، كما روىٰ مسلم في «صحيحه»[1] عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرج معاويةُ علىٰ حَلْقَةٍ في المسجد فقال: ما أَجْلَسَكُم؟ قالوا: جلسنا نَذْكُرُ اللهَ تعالىٰ. قال: آللهِ ما أَجْلَسَكُم إلَّا ذاك؟ قالوا: واللهِ ما أَجْلَسَنا إلا ذاك. قال: أما إنِّي لم أستَحلِفْكُم تُهْمَةً لكم، وما كان أحَدٌ بمنزلتي من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقلَّ عنه حديثًا مني، وإن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج علىٰ حَلْقَةٍ من أصحابه فقال: «**ما أَجْلَسَكُم؟**» قالوا: جلسنا نَذْكُرُ الله تعالىٰ ونحْمَدُه علىٰ ما هدانا للإسلام ومنَّ به علينا. قال: «**آللهِ ما أَجْلَسَكُم إلَّا ذاك؟**» قالوا: والله ما أَجْلَسَنَا إلَّا ذاك. قال: «**أما إنِّي لم أَسْتَحْلِفْكُم تُهْمَةً لكم، ولكنَّه أتاني جبريلُ فأخبرني أنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يباهي بكم الملائكة**».

الرابعة والخمسون: أنَّ مُدْمِنَ الذِّكر يدخل الجنة وهو يضحك.

الخامسة والخمسون: أن جميع الأعمال إنما شُرِعَتْ إقامةً لذكر الله تعالىٰ، والمقصودُ بها تحصيلُ ذكر الله تعالىٰ.

---

(١) برقم (٢٧٠١).

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤] وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وفي «السنن» عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنَّما جُعِلَ الطَّوافُ بالبيتِ، وبَين الصَّفا والمَرْوَةِ، وَرَمْيُ الجِمارِ لإقامةِ ذكرِ الله تعالىٰ**» رواه أبو داود والترمذي[1] وقال: حديث حسن صحيح.

السادسة والخمسون: أن أفضلَ أهلِ كلِّ عملٍ أكثرُهم فيه ذكرًا لله عَزَّوَجَلَّ.

وقد ذكر ابن أبي الدنيا حديثًا مرسلًا في ذلك: أن النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئل: أيُّ أهل المسجد خير؟ قال: «**أكثرهم ذكرًا لله عَزَّوَجَلَّ**» قيل: فأيُّ أهل الجنازة خير؟ قال: «**أكثرهم ذكرًا لله عَزَّوَجَلَّ**» قيل: فأيُّ المجاهدين خير؟ قال: «**أكثرهم ذكرًا لله عَزَّوَجَلَّ**» قيل: فأيُّ الحُجَّاج خير؟ قال: «**أكثرهم ذكرًا لله عَزَّوَجَلَّ**» قيل: وأي العُوَّادِ خير؟ قال: «**أكثرهم ذكرًا لله عَزَّوَجَلَّ**» قال أبو بكر: ذهب الذَّاكرون بالخير كلِّه[2].

السابعة والخمسون: أنَّ إدامة الذكر تنوب عن التطوُّعات، وتقوم مقامها، سواءٌ كانت بدنيَّةً، أو ماليَّةً، أو بدنيةً ماليةً كحج التطوع.

وقد جاء ذلك صريحًا في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن فقراء المهاجرين أتَوْا رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالوا: يا رسول الله، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بالدَّرجَاتِ العُلا والنَّعيم المُقيم؛ يُصَلُّونَ كما نُصلِّي، ويَصُومُونَ كما نَصُومُ، ولهُم فَضْلُ أموالٍ

---

(١) أبو داود (١٨٨٣)، والترمذي (٩٠٢)، وصححه الترمذي، وابن خزيمة (٢٨٨٢).

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٥٠١) مرسلاً.

يَحُجُّون بها ويَعْتَمِرُون ويجاهِدُون. فقال: «**ألا أعَلِّمُكُم شَيْئًا تُدْرِكُون به مَنْ سبَقَكُم، وتَسْبِقُون به من بَعْدَكُم، ولا أحَدَ يكُونُ أَفْضلَ مِنْكُم إلا مَن صنع مِثْلَ ما صنَعْتُم؟**» قالوا: بلىٰ يا رسول الله. قال: «**تُسَبِّحُونَ، وتَحْمَدُون، وتُكَبِّرُون خَلْفَ كلِّ صلاة...**» الحديث. متفق عليه[١].

الثامنة والخمسون: أن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ من أكبر العون علىٰ طاعته؛ فإنه يُحَبِّبُها إلىٰ العبد، ويُسَهِّلها عليه، ويُلَذِّذُها له، ويجعل قرة عينه فيها. يوضِّحُه:

التاسعة والخمسون: أن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ يُسَهِّل الصَّعْب، ويُيَسِّر العسير، ويُخفِّفُ المَشَاقَّ، فما ذُكِر الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ صعبٍ إلا هان، ولا علىٰ عَسيرٍ إلا تَيَسَّر. يوضحه:

الستون: أن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ يُذْهِب عن القلب مَخَاوِفَه كلَّها، وله تأثير عجيب في حصول الأمن، فليس للخائف الذي قد اشتدَّ خوفُه أنفعَ مِن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ.

الحادية والستون: أن الذكر يُعْطِي الذَّاكر قُوَّةً، حتىٰ إنه ليفعل مع الذكر ما لا يُطِيق فِعْلَه بدونه، وقد شاهدتُ من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - في مِشْيته، وكلامه، وإقدامه، وكتابته، أمرًا عجيبًا؛ فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جُمعة أو أكثر، وقد شاهد العَسْكرُ من قُوَّتِه في الحرب أمرًا عظيمًا.

وقد علَّم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابنته فاطمةَ وعليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن يسبِّحا كلَّ ليلةٍ إذا أخذا مضاجِعَهما ثلاثًا وثلاثين، ويَحْمَدا ثلاثًا وثلاثين، ويكبِّرا أربعًا وثلاثين؛ لمَّا سألَتْهُ الخَادِمَ وشكَتْ إليه ما تقاسيه من الطَّحْنِ والسَّعْي والخدمةِ، فعلَّمها ذلك

---

(١) البخاري (٨٣٤)، ومسلم (٥٩٥).

وقال: «**إنَّه خَيْرٌ لكما من خادم**»[(١)].

فقيل: إنَّ من داوم علىٰ ذلك وجد قوةً في بدنه مُغْنِيةً عن خادم.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله تعالىٰ، يذكر أثرًا في هذا الباب، وهو: أنَّ الملائكة لما أُمِروا بِحَمْلِ العرش قالوا: يا ربَّنا، كيف نحمل عرشك وعليه عظمتُك وجلالُك؟ فقال: قولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم. فلما قالوها حملوه. حتىٰ رأيت ابن أبي الدنيا قد ذكر هذا الأثر بعينه[(٢)].

وهذه الكلمة لها تأثير عجيب في معاناة الأشغال الصعبة، وتَحَمُّلِ المَشَاقِّ، والدخول علىٰ المُلوك، ومَنْ يُخاف، وركوب الأهوال.

ولها أيضًا تأثير عجيب في دفع الفقر.

وكان حبيب بن مسلمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يستحب إذا لقي عدُوًا أو ناهَضَ حصْنًا قَوْلَ: «لا حَوْلَ ولا قُوَّة إلَّا بالله» وإنَّهُ نَاهَضَ يومًا حِصْنًا فانهزم الرُّوم، فقالها المسلمون وكبَّروا، فانْصَدَعَ الحِصْن[(٣)].

الثانية والستون: أن عُمَّال الآخرة في مضمار السباق، والذاكرون هم أسبقهم في ذلك المضمار، ولكن القَتَر والغبار يمنع من رؤية سَبْقِهم، فإذا انجلىٰ الغبار

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٠٥)، ومسلم (٢٧٢٧).

(٢) بإسناده عن معاوية بن صالح، وهو من أتباع التابعين، قال: حدثنا مَشْيَختُنا أنه بلغهم. وأخرجه الطبري في «التفسير» (٢٨/ ٥٨٣) بنحوه مرفوعًا إلىٰ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بإسناد ضعيف فيه انقطاع.

(٣) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ١١٣).

وانكشفَ رآهم الناس وقد حازوا قَصَبَ السَّبْق.

الثالثة والستون: أن الذكر سببٌ لتصديق الرب عَزَّوَجَلَّ عبدَه، فإنه خَبَرٌ عن الله تعالىٰ بأوصاف كماله ونعوت جلاله، فإذا أخبر بها العبدُ صدَّقه ربُّه، ومن صدَّقه الله تعالىٰ لم يُحْشَرْ مع الكاذبين، ورُجِيَ له أن يُحْشَر مع الصادقين.

وروىٰ أبو إسحاق عن الأَغَرِّ أبي مُسْلمٍ، أنه شهد علىٰ أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنهما شهدا علىٰ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال: «**إذا قال العَبْدُ: لا إله إلا الله والله أكبر**» قال: «**يقول الله** تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: **صَدَقَ عَبْدِي، لا إله إلا أنا، وأَنَا أَكْبَرُ. وإذا قال: لا إله إلا الله وحده. قال: صدق عبدي، لا إله إلا أنا وَحْدي. وإذا قال: لا إله إلا الله لا شريك له. قال: صدق عبدي، لا إله إلّا أنا ولا شريك لي. وإذا قال: لا إله إلّا الله له الملك وله الحمد. قال: صدق عبدي، لا إله إلّا أنا لي الملك ولي الحمد. وإذا قال: لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله. قال: صدق عبدي، لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بي**» قال أبو إسحاق: ثم قال الأغرُّ شيئًا لم أفهَمْهُ، قلت لأبي جعفر: ما قال؟ قال: «**مَنْ رُزِقَهُنَّ عند مَوْته لم تَمَسَّهُ النَّار**»[(١)].

الرابعة والستون: أَنَّ دُورَ الجنّة تُبْنَىٰ بالذكر، فإذا أَمْسَكَ الذاكرُ عن الذكر أَمْسَكتِ الملائكةُ عن البناء، فإذا أَخَذَ في الذكر أخذوا في البناء. وكما أن بناءها بالذكر، فَغِراسُ بساتينها بالذكر.

كما في حديث النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن إبراهيم الخليل عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: «**أن الجنة**

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٣٠)، وابن ماجه (٣٧٩٤)، وحسنه الترمذي، وصححه ابن حبان (٨٥١).

طَيِّبَةُ التُّرْبَة عَذْبَةُ الماء، وأَنَّها قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَها: سُبْحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»[١].

فالذكرُ غِراسُها وبناؤها.

الخامسة والستون: أنَّ الذكر سَدٌّ بين العبد وبين جهنم، فإذا كانت له إلىٰ جهنم طريقٌ من عملٍ من الأعمال كان الذكر سَدًّا في تلك الطريق، فإذا كان ذِكْرًا دائمًا كاملًا كان سَدًّا مُحْكَمًا لا مَنْفَذَ فيه، وإلا فَبِحَسَبِه.

السادسة والستون: أن الملائكة تستغفر للذاكر كما تستغفر للتائب.

السابعة والستون: أنَّ الجبال والقِفار تَتَباهىٰ وتَسْتَبْشِر بمن يذكر الله عَزَّوَجَلَّ عليها.

قال ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: إن الجبل لينادي الجبل باسمه: أَمَرَّ بك اليوم أحدٌ يذكر الله عَزَّوَجَلَّ؟ فإذا قال: «نعم» اسْتَبْشَر[٢].

الثامنة والستون: أنَّ كثرة ذكر الله عَزَّوَجَلَّ أمانٌ من النفاق؛ فإن المنافقين قليلو الذكر لله عَزَّوَجَلَّ.

قال الله عَزَّوَجَلَّ في المنافقين: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[النساء: ١٤٢].

وقال كعب: مَنْ أَكْثَر ذكر الله عَزَّوَجَلَّ برئ من النفاق[٣].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٦٢) وقال: «حسن غريب»، وصححه الألباني بشواهده في «الصحيحة» (١٠٥).

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١١٢- ١١٣)، وسنده حسن.

(٣) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٤٦٩- ٤٧٠).

ولهذا - والله أعلم - ختم الله تعالىٰ سورة المنافقين بقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[المنافقون: ٩] **فإن في ذلك تحذيرًا من فتنة المنافقين الذين غفلوا عن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ فوقعوا في النفاق.**

وسُئِل بعض الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ عن الخوارج: أَمنافقون هم؟ قال: لا، المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلا[(١)].

فهذا من علامة النفاق: قِلَّةُ ذِكْرِ الله عَزَّوَجَلَّ. وكثرةُ ذكره أمانٌ من النفاق.

التاسعة والستون: أن للذكر من بين الأعمال لَذَّةً لا يشبهها شيء. فلو لم يكن للعبد من ثوابه إلا اللذةُ الحاصلة للذاكر، والنعيمُ الذي يحصل لقلبه لكفىٰ به، ولهذا سُمِّيَتْ مجالسُ الذكر رياضَ الجنة.

قال مالك بن دينار: ما تَلَذَّذَ المُتَلَذِّذون بمثل ذكر الله عَزَّوَجَلَّ[(٢)].

السبعون: أنه يكسو الوجهَ نَضْرةً في الدنيا، ونورًا في الآخرة، فالذاكرون أَنْضَرُ الناسِ وجوهًا في الدنيا، وأَنْوَرُهُم في الآخرة.

الحادية والسبعون: أن في دوام الذكر في الطريق والبيت، والحضر والسفر، والبقاع، تكثيرَ الشهود للعبد يوم القيامة؛ فإن البقعة والدار والجبل والأرض تشهد للذاكر يوم القيامة.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٥/ ٢٥٦- ٢٥٧، ٣٣٢).

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٥٨٩).

قال تعالىٰ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ١-٥].

فروىٰ الترمذي في «جامعه»[(١)] من حديث سعيد المقبري، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قرأ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ قال: «**أَتَدْرُونَ ما أَخْبارُها؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**فإنَّ أَخْبارها أنْ تشهدَ علىٰ كُلِّ عبدٍ أو أَمَةٍ بما عَمِلَ علىٰ ظَهْرِها، تقول: عَمِلَ يوم كذا وكذا، كذا وكذا**» قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

الثانية والسبعون: أن في الاشتغال بالذكر اشتغالًا عن الكلام الباطل من الغيبة والنميمة واللغو، ومدح الناس وذَمِّهم، وغير ذلك.

فهي النفسُ إن لم تَشْغَلْها بالحق شَغَلَتْك بالباطل، وهو القلب إنْ لم تَسْكُنه محبةُ الله عَزَّوَجَلَّ سَكَنَتْهُ محبةُ المخلوقين ولا بُدّ، وهو اللسان إنْ لم تَشْغَلْه بالذكر شغلك باللغو، وهو عليك ولا بُدّ، فاختر لنفسك إحدىٰ الخُطَّتين، وأَنْزِلْها في إحدىٰ المنزلتين.

الثالثة والسبعون، وهي التي بدأنا بذكرها وأشرنا إليها إشارة، فنذكرها هاهنا مبسوطةً لعظيم الفائدة بها، وحاجة كل أحدٍ بل ضرورتُه إليها: وهي أن الشياطين قد احْتَوَشَتْ العبدَ، وهُم أعداؤه، فما ظنك برجل قد احْتَوَشَه أعداؤه المُحْنِقُون عليه غيظًا، وأحاطوا به، وكُلٌّ منهم يناله بما يقدر عليه من الشَّرِّ والأذىٰ! ولا سبيل إلىٰ تفريق جمعهم عنه إلا بذكر الله عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) برقم (٢٤٢٩، ٣٣٥٣)، وصححه ابن حبان (٧٣٦٠).

وقد جاء في هذا الحديثُ العظيمُ الشريفُ القدرِ، وهو حديث سعيد بن المسيب، عن عبد الرحمن بن سَمُرة بن حبيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرج علينا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومًا، وكنا في صُفَّةٍ بالمدينة، فقام علينا وقال: «**إني رأيْتُ البارِحَة عَجَبًا؛ رأيتُ رجلًا من أمَّتي أتاه مَلَكُ الموت ليَقْبِض رُوحَهُ، فجاءه بِرُّه بوالِدَيه فردَّ مَلَك الموتِ عنه، ورأيت رجلًا قد بُسِط عليه عذابُ القبر، فجاءه وضوؤه فاستنقذه من ذلك، ورأيتُ رجُلًا من أمَّتي قد احْتَوَشَتْه الشياطين، فجاءه ذكْرُ الله عَزَّوَجَلَّ فطرد الشيطان عنه...**» إلىٰ آخر الحديث الطويل[1].

رواه الحافظ أبو موسىٰ المديني في كتاب «**الترغيب في الخصال المنجية، والترهيب من الخلال المردية**» وبنىٰ كتابه عليه وجعله شرحًا له، وقال: هذا حديث حسن جدًّا، رواه عن سعيد بن المسيب عمرُ بن ذرٍّ، وعلي بن زيد بن جُدعان، وهلالُ أبو جبلة.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يعظِّم شأن هذا الحديث، وبلغني عنه أنه كان يقول: شواهد الصحة عليه.

والمقصودُ منه قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ورأيت رجلًا من أمَّتي قد احتوشَتْه الشياطين، فجاءه ذكرُ الله عَزَّوَجَلَّ فطرد الشيطان عنه**» فهذا مطابق لحديث الحارث الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي شرحناه في هذه الرسالة، وقولِه فيه: «**وأمَرَكُم بذكر الله عَزَّوَجَلَّ وإن مثَلَ ذلك كمَثَل رجلٍ طلبه العدو، فانطلقوا في طلبه سِراعًا، وانطلق حتىٰ أتىٰ حصنًا حَصِينًا فأحرز نفسه فيه، فكذلك الشيطان لا يُحْرِزُ العبادُ أنفسَهم منه إلا**

(١) أخرجه ابن شاهين في «الترغيب في فضائل الأعمال» (٥٢٦)، وهو حديث ضعيف.

بذكر الله عَزَّوَجَلَّ».

وفي «الترمذي» عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من قال**» يعني إذا خرج من بيته «**بسم الله، توكَّلْتُ علىٰ الله، لا حَولَ ولا قُوَّةَ إلا بالله. يقال له: كُفِيتَ وهُدِيتَ ووُقِيتَ. وتَنَحَّىٰ عنه الشيطان، فيقول لشيطانٍ آخر: كيف لكَ برجل قد هُدِيَ وكُفِيَ وَوُقِيَ!**» رواه أبو داود والنسائي والترمذي[1] وقال: حديث حسن.

وقد تقدم قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قال في يوم مائةَ مرةٍ: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير. كانت له حِرْزًا من الشيطان حتىٰ يُمْسِي**»[2].

وفي «صحيح البخاري»[3] عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: وَلَّاني رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زكاةَ رمضانَ أن أحتفظ بها، فأتاني آتٍ، فجعل يَحْثُو من الطَّعام، فأخذته، فقال: دَعْنِي فإني لا أعود... فذكر الحديث، وقال: فقال له في الثالثة: أُعَلِّمك كلماتٍ ينفعك الله بهن، إذا أَوَيْتَ إلىٰ فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها إلىٰ آخرها، فإنه لا يزال عليك من الله حافظ، ولا يَقربُك شيطان حتىٰ تصبح. فخَلَّىٰ سبيله، فأصبح، فأخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله فقال: «**صَدَقَكَ، وهو كذوب**».

---

(١) سيأتي تخريجه.

(٢) سيأتي تخريجه.

(٣) برقم (٢٣١١) معلقًا بصيغة الجزم، ووصله النسائي في «الكبرىٰ» (١٠٧٢٩)، وابن خزيمة (٢٤٢٤).

وفي «الصحيحين»[1] من حديث سالم بن أبي الجعد، عن كريب، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أمَا لو أنَّ أحدكم إذا أتىٰ أهْلَه قال: بسم الله، اللهم جَنِّبْنَا الشيطانَ، وجَنِّب الشيطان ما رَزَقْتَنَا. فيولد بينهما ولد، لا يَضُرُّه شيطانٌ أبدًا**».

وقد ثبت في «الصحيحين» أن الشيطان يهرب من الأذان.

قال سُهيل بن أبي صالح: أرسلني أبي إلىٰ بني حارثة، ومعي غلامٌ أو صاحب لنا، فنادىٰ مُنادٍ من حائط باسمه، فأشْرَفَ الذي معي علىٰ الحائط، فلم يَرَ شيئًا، فذكرت ذلك لأبي، فقال: لو شَعَرْتُ أنك تلقىٰ هذا لم أُرْسِلْك، ولكنْ إذا سمعتَ صوتًا فَنَادِ بالصلاة، فإني سمعت أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُحَدِّثُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**إنَّ الشَّيْطَانَ إذَا نُودِي بالصلاة وَلَّىٰ وله حُصَاصٌ**»[2].

وفي رواية: «**إذا سمع النِّداءَ وَلَّىٰ وله ضُرَاطٌ حتىٰ لا يسمع التَّأذينَ**...» الحديث[3].

فهذا بعض ما يتعلق بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كذلك العبد لا يُحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله تعالىٰ**».

ولنذكر فصولًا نافعة تتعلق بالذكر تكميلًا للفائدة:

---

(١) البخاري (١٤١)، ومسلم (١٤٣٤).

(٢) أخرجه مسلم (٣٨٩). والحُصاص: شدة العَدْوِ وسُرعته، وقيل: هو الضراط.

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٨).

ص٢١٦

الفصل الأول

الذكر إما بأسماء الرب وصفاته وإما بأمره ونهيه، وإما بذكر آلائه

الذكرُ نوعان:

أحدهما: ذِكْرُ أسماء الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وصفاته، والثناءُ عليه بها، وتنزيهه وتقديسه عما لا يليق به تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ. وهذا أيضًا نوعان:

أحدهما: إنشاء الثناء عليه بها من الذاكر، وهذا النوع هو المذكور في الأحاديث، نحو: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر» و«سبحان الله وبحمده» و«لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو علىٰ كل شيء قدير» ونحو ذلك، فأفضل هذا النوع أَجمَعُه للثناءِ وأَعَمُّه، نحو «سبحان الله عددَ خلقِه» فهذا أفضل من مجرد «سبحان الله» وقولُك: «الحمد لله عدد ما خلق في السماء، وعدد ما خلق في الأرض، وعدد ما بينهما، وعدد ما هو خالق» أفضل من مجرد قولك: «الحمد لله».

وهذا في حديث جويرية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لها: «**لقد قلتُ بَعْدَكِ أربعَ كلماتٍ ثلاثَ مرَّاتٍ، لو وُزِنَتْ بما قُلتِ منذ اليومَ لوَزَنَتْهُنَّ: سبحان الله عددَ خَلْقِه، سبحان الله رِضا نَفْسِه، سبحان الله زِنَةَ عرشِه، سبحان الله مِدادَ كلماتِه**» رواه مسلم[١].

وفي «الترمذي» و«سنن أبي داود»[٢] عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه دخل

(١) برقم (٢٧٢٦).

(٢) الترمذي (٣٥٦٨)، وأبو داود (١٤٩٥)، وحسنه الترمذي، واختاره الضياء في «المختارة» (٣/ ٢٠٩).

مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ امرأةٍ بين يَدَيْها نوىٰ أو حصىٰ تسبِّحُ بها، فقال: **«ألا أُخْبِرُكِ بما هو أَيْسَرُ عليكِ من هذا أو أفضل؟»** فقال: **«سبحان الله عددَ ما خلق في السماء، وسبحان الله عددَ ما خلق في الأرض، وسبحان الله عددَ ما بين ذلك، وسبحان الله عددَ ما هو خالق، والله أكبر مثل ذلك، والحمد لله مثل ذلك، ولا إله إلا الله مثل ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك»**.

النوع الثاني: الخبرُ عن الرب تعالىٰ بأحكام أسمائه وصفاته، نحو قولك: الله عَزَّوَجَلَّ يسمع أصواتَ عبادِه، ويرىٰ حركاتِهم، ولا تخفىٰ عليه خافيةٌ من أعمالهم، وهو أرحم بهم من آبائهم وأمهاتهم، وهو علىٰ كل شيء قدير، وهو أفرح بتوبة عبده من الفاقِد راحلتَه الواجِدِ، ونحو ذلك.

وأفضل هذا النوع الثناءُ عليه بما أثنىٰ به علىٰ نفسه، وبما أثنىٰ به عليه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تشبيه ولا تمثيل.

وهذا النوع أيضًا ثلاثة أنواع: حَمْدٌ، وثَنَاءٌ، ومَجْدٌ.

فالحمد: الإخبار عنه بصفات كماله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مع محبته والرضا عنه؛ فلا يكون المُحِبُّ الساكت حامدًا ولا المُثنِي بلا محبَّةٍ حامدًا حتىٰ تجتمع له المحبة والثناء، فإن كرَّر المَحامِدَ شيئًا بعد شيء كانت ثناءً، فإن كان المدح بصفات الجلال والعظمة والكبرياء والمُلْكِ كان مَجْدًا.

وقد جمع الله تعالىٰ لعبده الأنواع الثلاثة في أول فاتحة الكتاب، فإذا قال العبدُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال الله: حمدني عبدي.

وإذا قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قال: أثنىٰ عليَّ عبدي. وإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ قال: مجَّدني عبدي[١].

والنوع الثاني من الذِّكر: ذِكْرُ أمرِه ونهيِه وأحكامِه، وهو أيضًا نوعان:

أحدهما: ذِكْرُه بذلك إخبارًا عنه بأنه أمر بكذا، ونهىٰ عن كذا، وأحبَّ كذا، وسَخِط كذا، ورضي كذا.

والثاني: ذِكْرُه عند أمره فَيُبادِرُ إليه، وعند نهيه فَيَهْرُبُ منه.

فذِكْرُ أمره ونهيه شيءٌ، وذِكْرُه عند أمره ونهيه شيءٌ آخر، فإذا اجتمعت هذه الأنواع للذاكر فَذِكْره أفضلُ الذِّكْر وأجلُّه وأعظمُه فائدة.

فهذا[٢] ذِكْرُه هو الفقه الأكبر، وما دونه[٣] من أفضل الذكر إذا صَحَّتْ فيه النيَّة.

ومِنْ ذِكْرِه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ذكرُ آلائه وإنعامه وإحسانه وأياديه، ومواقعِ فضلِه علىٰ عبيده، وهذا أيضًا من أجلِّ أنواع الذِّكر.

فهذه خمسة أنواع[٤].

---

(١) ورد في حديث أخرجه مسلم (٣٩٥).

(٢) أي: ذكر الله بامتثال أمره ونهيه. وهو النوع الثاني من النوع الثاني من الذكر.

(٣) أي: ذكر الله ببيان أحكامه وتعليمها. وهو النوع الأول من النوع الثاني من الذكر.

(٤) النوع الأول: ذكر أسماء الرب وصفاته، وتحته نوعان.

والنوع الثاني: ذكر أمره ونهيه، وتحته نوعان.

فهذه أربعة أنواع. والخامس: ذكر آلائه وإنعامه وإحسانه.

وهي تكون بالقلب واللسان تارةً، وذلك أفضل الذكر.

وبالقلب وحده تارةً، وهي الدرجة الثانية.

وباللسان وحده تارةً، وهي الدرجة الثالثة.

فأفضل الذكر ما تواطأ عليه القلبُ واللسان. وإنما كان ذكر القلب وحده أفضل من ذكر اللسان وحده؛ لأن ذكر القلب يُثْمِرُ المعرفة، ويهيِّج المحبة، ويُثِيرُ الحياء، ويَبْعَثُ علىٰ المخافة، ويدعو إلىٰ المراقبة، ويَرْدَع عن التقصيرِ في الطاعات والتهاونِ في المعاصي والسيئات، وذِكْرُ اللسان وحده لا يوجب شيئًا من ذلك الإثمار، وإن أثمر شيئًا منها فثمرتُه ضعيفة.



ص٢٢٢

الفصل الثاني

الذكر أفضل من الدعاء؛ لأن الذكر ثناءٌ علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بجميل أوصافه وآلائه وأسمائه، والدعاءُ سؤال العبد حاجته، فأين هذا من هذا!

ولهذا جاء في الحديث: «**مَن شَغَلَه ذكرِي عن مَسألتي أعطَيتُه أفضلَ ما أُعطي السَّائلين**»[1].

ولهذا كان المُستَحَبُّ في الدعاء أن يبدأ الداعي بحمد الله تعالىٰ والثناء عليه بين يدي حاجته، ثم يسأل حاجته. كما في حديث فَضالة بن عُبيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمع رجلًا يدعو في صلاته، لم يحمد الله تعالىٰ ولم يُصَلِّ علىٰ النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لقد عَجِل هذا**» ثم دعاه فقال له أو لغيره: «**إذا صلَّىٰ أحدُكُم فلْيبدَأْ بتحميد ربِّه عَزَّوَجَلَّ والثناءِ عليه، ثم يصلِّي علىٰ النبي** صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **ثم يدعو بَعدُ بما شاء**» رواه الإمام أحمد والترمذي وقال: حديث حسن صحيح. ورواه الحاكم في «صحيحه»[2].

وهكذا دعاء ذي النون عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال فيه النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**دَعْوَةُ أخي ذي النون إذْ دعا وهو في بطن الحوت: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ**

---

(١) أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» (٥٤٤)، وحسّنه ابن حجر كما في «اللآلئ المصنوعة» (٢/ ٣٤٢).

(٢) أخرجه أحمد (٧/ ٩٢٨- ٩٢٩)، وأبو داود (١٤٧٦)، والنسائي (١٢٨٣)، والترمذي (٣٤٧٧)، وصححه الترمذي، وابن خزيمة (٧٠٩)، وابن حبان (١٩٦٠)، والحاكم (١/ ٢٣٠).

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] **فإنه لم يَدْعُ بها مسلمٌ في شيءٍ قطُّ إلا استجاب الله له»**[١].

وهكذا عامة الأدعية النبوية علىٰ قائلها أفضل الصلاة والسلام.

ومنه قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دعاء الكرب: «**لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رَبُّ العرش العظيم، لا إله إلا الله رَبُّ السماوات وربُّ الأرض وربُّ العرش الكريم**»[٢].

ومنه حديث بُريدة الأسلمي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الذي رواه أهل السنن وابنُ حبان في «صحيحه»[٣] أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمع رجلاً يدعو وهو يقول: «**اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت، الأحدُ الصمدُ، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد**» فقال: «**والذي نفسي بيده، لقد سأل الله باسمه الأعظم، الذي إذا دُعِيَ به أجاب، وإذا سُئِل به أعطىٰ**».

وروىٰ أبو داودَ والنسائيُّ[٤] من حديث أنسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه كان مع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جالسًا، ورجلٌ يصلي، ثم دعا: «**اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت المنان، بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حيُّ يا قيُّومُ**» فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعِي به أجاب، وإذا**

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٠٥)، وصححه الحاكم (١/ ٥٠٥)، واختاره الضياء في «المختارة» (٣/ ٢٣٣- ٢٣٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٤٥)، ومسلم (٢٧٣٠).

(٣) أبو داود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٤٧٥)، وابن ماجه (٣٨٥٧)، وابن حبان (٨٩١).

(٤) أبو داود (١٤٨٨)، والنسائي (١٢٩٩)، وأخرجه أيضًا الترمذي (٣٤٧٥)، وصححه ابن حبان (٨٩٣).

سُئلَ به أعطىٰ».

فأخبر النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الدعاء يستجاب إذا تَقَدَّمه هذا الثناء والذكر، وأنه اسم الله الأعظم، فكان ذكرُ الله عَزَّوَجَلَّ والثناء عليه أنجحَ ما طلب به العبدُ حوائجَه.

وهذه فائدة أخرىٰ من فوائد الذكر والثناء، أنه يجعل الدعاء مستجابًا.

فالدعاء الذي يَتَقدَّمه الذكر والثناء أفضلُ وأقرب إلىٰ الإجابة من الدعاء المجرد، فإن انضاف إلىٰ ذلك إخبارُ العبد بحاله ومسكنتِه وافتقارِه واعترافُه، كان أبلغَ في الإجابة وأفضل؛ فإنه يكون قد تَوَسَّل إلىٰ المَدْعُوِّ بصفات كماله وإحسانه وفضله، وعرَّض بل صَرَّح بشدة حاجته وضرورته وفقره ومسكنته، فهذا المُقْتَضِي منه، وأوصافُ المسؤول مُقْتَضِي من الله، فاجتمع المُقْتَضِي من السائل، والمُقْتَضِي من المسؤول في الدعاء، فكان أبلغ وألطف موقعًا وأَتَمَّ معرفةً وعبودية.

وأنت ترىٰ في المشاهد – ولله المثل الأعلىٰ – أن الرجل إذا توسَّل إلىٰ من يريد معروفه بكرمه وجُوده وبِرِّه، وذكَرَ حاجته هو وفقرَه ومسكنتَه، كان أعطفَ لقلب المسؤول وأقربَ لقضاء حاجته.

فإذا قال له: أنت جودُك قد سارت به الركبان، وفضلك كالشمس لا يُنكَر، ونحو ذلك، وقد بلغت بي الحاجةُ والضرورةُ مبلغًا لا صَبْرَ معه، ونحو ذلك، كان أبلغ في قضاء حاجته من أن يقول ابتداءً: أعطني كذا وكذا.

فإذا عرفت هذا فتأمل قول موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ في دعائه: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ

﴿مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[القصص: ٢٤] وقول ذي النون عَلَيْهِ السَّلَامُ في دعائه: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[الأنبياء: ٨٧] وقول أبينا آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[الأعراف: ٢٣].

وفي «الصحيحين»[1] أن أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: يا رسولَ الله، علِّمني دعاءً أدعو به في صلاتي. فقال: «**قل: اللهمَّ إني ظلمتُ نفسي ظلمًا كثيرًا، وإنه لا يغفر الذنوبَ إلا أنت، فاغفِرْ لي مغفرةً مِن عندك وارحمني، إنك أنت الغفورُ الرحيم**».

فجمع في هذا الدعاء الشريفِ العظيمِ القدْرِ بين الاعتراف بحاله، والتَّوسُّلِ إلىٰ ربه عَزَّوَجَلَّ بفضله وجوده، وأنه المنفرد بغُفران الذنوب، ثم سأل حاجته بعد التوسل بالأمرين معًا، فهكذا أدب الدعاء وآداب العبودية.

❀❀❀❀❀

(١) البخاري (٨٣٤)، ومسلم (٢٧٠٥).

الفصل الثالث

ص٢٣١

قراءة القرآن أفضل من الذكر

قراءةُ القرآن أفضلُ من الذِّكْر، والذِّكْرُ أفضلُ من الدعاء، هذا مِنْ حيث النظر إلىٰ كُلٍّ منهما مُجَرَّدًا.

وقد يَعْرِضُ للمفضول ما يجعله أولىٰ من الفاضل، بل يُعَيِّنُه فلا يجوز أَن يُعْدَلَ عنه إلىٰ الفاضل، وهذا كالتسبيح في الركوع والسجود فإنه أفضل من قراءة القرآن فيهما، بل القراءةُ فيهما مَنْهِيٌّ عنها نَهْيَ تحريمٍ أو كراهةٍ، وكذلك التسميع والتحميد في مَحَلِّهما أفضل من القراءة، وكذلك التشهد، وكذلك «**رب اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني**» بين السَّجدتين أفضل من القراءة.

وكذلك الذكرُ عَقِيب السلام من الصلاة؛ ذكرُ التهليل والتسبيح والتكبير والتحميد، أفضلُ من الاشتغال عنه بالقراءة، وكذلك إجابةُ المؤذن والقولُ كما يقول أفضلُ من القراءة، وإن كان فضلُ القرآن علىٰ كلِّ كلامٍ كفضل الله تعالىٰ علىٰ خلقه، لكنْ لكلِّ مقامٍ مقالٌ، متىٰ فات مقالُه فيه وعُدِلَ عنه إلىٰ غيره اخْتَلَّتْ الحكمةُ وفاتت المصلحةُ المطلوبة منه.

وهكذا الأذكار المُقيَّدةُ بمحالَّ مخصوصة أفضلُ من القراءة المطلقة، والقراءةُ المطلقة أفضل من الأذكار المطلقة، اللهم إلا أن يَعْرِضَ للعبد ما يجعل الذكرَ أو الدعاءَ أنفعَ له من قراءة القرآن.

مثالُه: أن يتفكر في ذنوبه فيُحْدِثَ ذلك له توبةً واستغفارًا، أو يَعْرِضَ له ما يَخافُ أذاه من شياطين الإنس والجن فيَعْدِلَ إلىٰ الأذكار والدَّعواتِ التي تُحَصِّنُه وَتحُوطُه.

وكذلك أيضًا قد يَعْرِضُ للعبد حاجةٌ ضرورية إذا اشتغل عن سؤالها بقراءةٍ أو ذِكْرٍ لم يَحْضُرُ قلبُه فيها، وإذا أقبل علىٰ سؤالها والدعاء لها اجتمع قلبُه كلُّه علىٰ الله تعالىٰ، وأحدَثَ له تضرُّعًا وخشوعًا وابتهالًا، فهذا قد يكون اشتغاله بالدعاء، والحالة هذه، أنفعُ، وإن كان كلٌّ من القراءة والذكر أفضل وأعظم أجرًا.

وهذا بابٌ نافعٌ يحتاج إلىٰ فِقْه نَفْسٍ، وفُرقانٍ بين فضيلة الشيء في نفسه وبين فضيلته العارضة، فَيُعطَىٰ كلُّ ذي حقٍّ حقَّه، ويُوضَعُ كلُّ شيءٍ مَوضِعَه.

وقلت لشيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله تعالىٰ، يومًا: سُئِل بعض أهل العلم: أيهما أنفع للعبد؛ التسبيح أو الاستغفار؟ فقال: إذا كان الثوب نقيًّا فالبخور وماء الورد أنفع له، وإن كان دَنِسًا فالصابون والماء الحارُّ أنفع له. فقال لي رحمه الله تعالىٰ: فكيف والثياب لا تزال دَنِسة!

ولمّا كانت الصلاة مشتملة علىٰ القراءة والذكر والدعاء، وهي جامعةٌ لأجزاء العبودية علىٰ أتمِّ الوجوه، كانت أفضلَ من كُلٍّ من القراءة والذكر والدعاء بمفرده؛ لجمعها ذلك كلِّه مع عبوديةِ سائر الأعضاء.

فهذا أصل نافع جدًّا، يُفتَح للعبد به بابُ معرفةِ مراتب الأعمال وتَنْزِيلها منازلَها، لئلا يشتغلَ بمفضولها عن فاضلها، فيربح عليه إبليسُ الفضلَ الذي بينهما؛ أو ينظرَ إلىٰ فاضلها فيشتغلَ به عن مفضولها، وإن كان ذلك وقتَه، فتفوته مصلحته بالكلية، لظنِّه أن اشتغاله بالفاضل أكثرُ ثوابًا وأعظمُ أجرًا.

وهذا يحتاج إلىٰ معرفةٍ بمراتب الأعمال وتفاوتها، ومقاصدها، وفِقهٍ في إعطاء

كلِّ عملٍ منها حقَّه، وتنزيلِه في مرتبته، وتفويتِه لما هو أهمُّ منه، أو تفويتِ ما هو أولىٰ منه وأفضل، لإمكان تداركِه والعَوْدِ إليه؛ وهذا المفضول إن فات لا يمكن تداركه، فالاشتغال به أولىٰ.

والله تعالىٰ الموفق.



ص: ٢٣٧

الفصل الرابع

في الأذكار المُوَظَّفة، التي لا ينبغي للعبد أن يُخِلَّ بها؛ لشدّةِ الحاجة إليها وَعِظَم الانتفاعِ في الآجل والعاجل بها

وفيه فُصول:

ص: ٢٣٩

الفصل الأول

في ذكر طَرَفي النهار

وهما ما بين الصبح وطلوع الشمس، وما بين العصر والغروب.

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[الأحزاب: ٤١-٤٢] والأصيل: قال الجوهري: هو الوقت بعد العصر إلىٰ المغرب.

وقال تعالىٰ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ﴾[غافر: ٥٥] فالإبكار: أولُ النَهار، والعَشِيُّ آخره.

وقال تعالىٰ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾[ق: ٣٩].

وهذا تفسير ما جاء في الأحاديثِ أن من قال كذا وكذا حين يصبح وحين يمسي، أن المراد به قبلَ طلوع الشمس وقبلَ غروبها، وأن محلَّ هذه الأذكار بعد الصبح وبعد العصر.

وفي «صحيح مسلم»[1] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«مَن قال حين يُصْبح وحين يُمْسي: (سبحان الله وبحمده) مائةَ مرةٍ، لم يأت أحدٌ يومَ القيامة بأفضلَ مما جاء به، إلا رجل قال مثل ما قال أو زاد عليه»**.

وفي «صحيحه»[2] أيضًا عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كان نبي الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أمسىٰ قال: **«أمسينا وأمسىٰ المُلْكُ لله، والحمد لله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له المُلْكُ وله الحمد، وهو علىٰ كل شيء قدير، ربِّ أسأَلُكَ خيرَ ما في هذه الليلة وخيرَ ما بعدَها، وأعوذ بك من شرِّ ما في هذه الليلةِ وشرِّ ما بعدَها، ربِّ أعوذُ بك من الكسلِ وسوءِ الكِبَر، ربِّ أعوذُ بك من عذابٍ في النار وعذابٍ في القبر»** وإذا أصبح قال ذلك أيضًا: **«أصبحنا وأصبح الملك لله»**.

وفي «السنن»[3] عن عبد الله بن خبيب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«قل»** قلت: يا رسول الله، ما أقول؟ قال: **«قل: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات؛ تكفيك من كل شيء»** قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وفي «صحيح البخاري»[4] عن شدَّاد بن أَوس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«سيّد الاستغفار: اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتَني وأنا عبدُك، وأنا علىٰ عهدِك ووعدِك ما استطعتُ، أعوذ بك من شرِّ ما صنعتُ، أَبُوءُ لك بنعمتك عليَّ،**

(١) برقم (٢٦٩٢).
(٢) برقم (٢٧٢٣).
(٣) أخرجه أبو داود (٥٠٨٢)، والنسائي (٥٤٤٣)، والترمذي (٣٥٧٥) وصححه.
(٤) برقم (٦٣٢٣).

وأبوءُ بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوبَ إلا أنت. من قالها حين يمسي فمات من ليلته دخل الجنة، ومن قالها حين يصبح فمات من يومه دخل الجنة».

وفي «الترمذي»[(١)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مُرْنِي بشيءٍ أقولُه إذا أصبحتُ وإذا أمسيتُ. قال: «**قل: اللهم عالمَ الغيب والشهادة، فاطرَ السماوات والأرض، رَبَّ كلِّ شيءٍ ومَلِيكَه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشِرْكِه، وأن أقترِفَ علىٰ نفسي سوءًا أو أجُرَّه إلىٰ مسلم. قُلْهُ إذا أصبحتَ، وإذا أمسيتَ، وإذا أخذتَ مضجِعَك**» قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وفي «الترمذي»[(٢)] أيضًا عن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما من عبد يقول في صباح كلِّ يوم ومساء كلِّ ليلة: (بسم الله الذي لا يَضُرُّ مع اسمِه شيءٌ في الأرضِ ولا في السماءِ وهو السميعُ العليم) ثلاثَ مراتٍ، إلَّا لم يَضُرَّه شيء**» وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وفي «سنن أبي داود»[(٣)] عن عبد الله بن غنَّام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من قال حين يصبح: (اللهم ما أَصْبَحَ بي من نعمةٍ أو بأحدٍ من خلقك، فَمِنْكَ وحدَكَ لا شريك لك، لك الحمدُ ولك الشكرُ) فقد أدَّىٰ شكر يومه، ومن قال مثلَ ذلك حين يمسي فقد أدَّىٰ شكر ليلته**».

---

(١) برقم (٣٣٩٢)، أخرجه أيضًا أبو داود (٥٠٦٧)، وصححه الترمذي وابن حبان (٩٦٢).

(٢) برقم (٣٣٨٨)، وأخرجه أيضًا ابن ماجه (٣٨٦٩)، وصححه الترمذي، وابن حجر في «نتائج الأفكار» (٢/ ٣٦٧).

(٣) برقم (٥٠٧٣)، وصححه ابن حبان (٨٦١).

وفي «السنن» و«صحيح الحاكم»[١] عن عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: لم يكن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَدَعُ هؤلاء الكلماتِ حين يمسي وحين يصبح: «**اللهم إني أسألك العافيةَ في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العَفْوَ والعافيةَ في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استُرْ عَوراتي وآمِنْ رَوْعاتي، اللهم احفظني من بين يَدَيَّ ومِن خلفي، وعن يميني وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتِك أن أُغْتالَ مِن تحتي**».

❊❊❊❊❊

الفصل الثاني

ص٢٤٧

في أذكار النوم

في «الصحيحين»[٢] عن حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كان رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إذا أراد أن ينام قال: «**باسمك اللهم أموت وأَحْيا**» وإذا استيقظ من منامه قال: «**الحمد لله الذي أحيانا بعدَ ما أماتنا وإليه النشور**».

وفي «الصحيحين»[٣] أيضًا عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **كان إذا أوىٰ إلىٰ فراشه كلَّ ليلة، جمع كفَّيه ثم نفَثَ فيهما، يقرأ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾** و﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ**﴾ و﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ**﴾ **ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما علىٰ رأسه ووجهه وما أَقْبَلَ من جسده، يفعل ذلك ثلاثَ مراتٍ.**

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٧٤)، والنسائي (٥٥٤٤)، وابن ماجه (٣٨٧١)، وصححه ابن حبان (٨٦١)، والحاكم (١/ ٥١٧- ٥١٨).

(٢) البخاري (٦٣٢٤)، وهو عند مسلم (٢٧١١) من حديث البراء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٣) البخاري (٥٠١٧)، ومسلم (٢١٩٢).

وفي «صحيح البخاري»[(١)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه أتاه آتٍ يحثو من الصدقة، وكان قد جعله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليها، ليلةً بعد ليلة، فلما كان في الليلة الثالثة قال: لأرفعنَّكَ إلىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال: دعني أُعلِّمْك كلماتٍ ينفعك اللهُ بهن. وكان أحرصَ شيءٍ علىٰ الخير، فقال: إذا أَوَيتَ إلىٰ فراشك فاقرأ آية الكرسي ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾[البقرة: ٢٥٥] حتىٰ تختمها، فإنه لا يزالُ عليك من الله حافظ، ولا يقرَبُك شيطان حتىٰ تصبح. فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**صَدَقَكَ وهو كذوب**».

وفي «الصحيحين»[(٢)] عن أبي مسعود الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلةٍ كَفَتاه**».

الصحيحُ أن معناها: كفتاه من شرِّ ما يؤذيه. وقيل: كفتاه من قيام الليل. وليس بشيء.

وفي «الصحيحين»[(٣)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا قام أحدكم عن فراشه ثم رجع إليه، فَلْيَنْفُضْه بِصَنِفَةِ إزارِه**[(٤)] **ثلاثَ مراتٍ؛ فإنه لا يدري ما خَلَفه عليه بعده، وإذا اضطجع فليقل: باسمك اللهم ربي وضعتُ جنبي وبك أرفعه، فإن أمسكتَ نفسي فارحَمْها، وإن أرسلتَها فاحفَظْها بما تحفظُ به عبادك الصالحين**».

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) البخاري (٤٠٠٨)، ومسلم (٨٠٧).

(٣) البخاري (٦٣٢٠)، ومسلم (٢٧١٤).

(٤) صَنِفة الإزار: حاشيته وطرفه.

وقد تقدَّم حديث علي، ووصية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له ولفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن يُسَبِّحا إذا أخذا مضاجعهما للنوم ثلاثًا وثلاثين، ويحمدا ثلاثًا وثلاثين، ويُكَبِّرا أربعًا وثلاثين، وقال: «**هو خير لكما من خادم**».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه: بلغنا أنه من حافظ علىٰ هذه الكلمات لم يأخُذْهُ إعياءٌ فيما يعانيه من شُغْلٍ وغيرِه.

وفي «صحيح مسلم»[1] عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا أوىٰ إلىٰ فراشه قال: «**الحمد لله الذي أطعمَنا وسقانا، وكفانا وآوانا، فكَمْ مِمَّنْ لا كافِيَ له ولا مُؤْوِيَ**».

وفي «صحيحه»[2] أيضًا عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه أمر رجلاً إذا أخذ مضجعه أن يقول: «**اللهم أنت خلقتَ نفسي وأنت تتوفَّاها، لك مماتُها ومحياها، إن أَحْيَيْتَها فاحفَظْها، وإن أَمَتَّها فاغفِرْ لها، اللهم إني أسألك العافية**» قال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: سمعتُهن من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفي «الصحيحين»[3] عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا أتيتَ مضجعك فتوضأ وضوءَك للصلاة، ثم اضطجع علىٰ شِقِّك الأيمن وقل: اللهم إني أسلمتُ نفسي إليك، ووجَّهتُ وجهي إليك، وفَوَّضْتُ أمري إليك، رغبةً ورهبةً إليك، لا ملجأَ ولا منجا منك إلا إليك، آمنتُ بكتابك الذي**

---

(١) برقم (٢٧١٥).
(٢) برقم (٢٧١٢).
(٣) البخاري (٢٤٧)، ومسلم (٢٧١٠).

أنزلت، وبنبيِّك الذي أرسلتَ. فإن مِتَّ مِتَّ علىٰ الفطرة، واجعَلْهن آخرَ ما تقول».

ص٢٥٤

❊❊❊❊❊

الفصل الثالث

في أذكار الانتباه من النوم

روىٰ البخاري في «صحيحه»[1] عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ تَعَارَّ من الليل فقال: لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، له الملكُ وله الحمد، وهو علىٰ كل شيء قدير، الحمد لله، وسبحان الله [ولا إله إلا الله] والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله. ثم قال: اللهم اغفر لي. أو دعا، استُجِيب له، فإن توضأ وصَلَّىٰ قُبِلَتْ صلاتُه**».

❊❊❊❊❊

ص٢٥٦

الفصل الرابع

في أذكار الفزع في النوم والقلق

في «سنن أبي داود» و«الترمذي»[2] عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يُعَلِّمهم من الفزع كلمات: «**أعوذ بكلمات الله التامة من غضبِه وعقابِه، وشرِّ عباده، ومن هَمَزات الشياطين، وأن يَحْضُرون**» وكان عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يُعَلِّمُهنَّ مَنْ عقَلَ مِن بَنِيه، ومن لم يَعْقِلْ كَتَبه وعَلَّقه عليه.

---

(١) برقم (١١٥٤)، وما بين المعقوفين سقط من الأصل.

(٢) أبو داود (٣٨٩٣)، والترمذي (٣٥٢٨)، وحسنه الترمذي، وابن حجر في «نتائج الأفكار» (٣/ ١١٨).

ص٢٥٨

الفصل الخامس

في أذكار من رأى رؤيا يكرهها

في «صحيح مسلم»[(١)] عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«إذا رأىٰ أحدُكم الرؤيا يكرهها، فليَبْصُقْ عن يساره ثلاثَ مراتٍ، وَلْيَستَعِذْ بالله من الشيطان ثلاثًا، ولْيَتَحَوَّلْ عن جنبه الذي كان عليه»**.

❊❊❊❊❊

ص٢٦٠

الفصل السادس

في أذكار الخروج من المنزل

في «السنن»[(٢)] عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«من قال»** يعني إذا خرج من بيته **«بسم الله، توكلتُ علىٰ الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله. يقال له: كُفِيتَ وهُدِيتَ ووُقِيتَ. وتَنَحَّىٰ عنه الشيطان، فيقول لشيطانٍ آخر: كيف لك بِرَجُلٍ قد كُفِيَ وهُدِيَ ووُقِيَ!»**.

❊❊❊❊❊

ص٢٦٢

الفصل السابع

في أذكار دخول المنزل

---

(١) برقم (٢٢٦٢).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٩٥)، والترمذي (٣٤٢٦)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٩٨٣٧)، وصححه ابن حبان (٨٢٢).



في «صحيح مسلم»(١) عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إذا دخل الرجل بيته، فذكر الله تعالىٰ عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان: لا مَبِيتَ لكم ولا عَشاءَ. وإذا دخل فلم يذكر الله تعالىٰ عند دخوله، قال الشيطان: أدركتم المبيت. فإذا لم يذكر الله تعالىٰ عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعَشاء**».

❦❦❦❦❦

ص٢٦٤

الفصل الثامن

في أذكار دخول المسجد والخروج منه

في «صحيح مسلم»(٢) عن أبي حُميْدٍ - أو أبي أُسَيْدٍ - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا دخل أحدكم المسجد فَلْيُسَلِّمْ علىٰ النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك. وإذا خرج فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك**».

❦❦❦❦❦

ص٢٦٥

الفصل التاسع

في أذكار الأذان

في «صحيح مسلم»(٣) عن عبد الله بن عمرٍو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنه سمع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إذا سمعتم المؤذِّن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلُّوا عليَّ؛ فإن**

(١) برقم (٢٠١٨).
(٢) برقم (٣٨٤).
(٣) برقم (٢٠١٨).

مَن صلَّىٰ عليَّ صلاةً صلىٰ الله عليه بها عشرًا، ثم سَلُوا اللهَ لي الوسيلة، فإنها منزلةٌ في الجنة لا تنبغي إلا لعبدٍ من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلةَ حَلَّتْ له الشفاعةُ».

وفي «صحيح البخاري»[(١)] عن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«من قال حين يسمع النداء: اللهم ربَّ هذه الدعوةِ التامَّةِ والصلاةِ القائمةِ، آتِ محمدًا الوسيلةَ والفضيلةَ وابعَثْه مقامًا محمودًا الذي وَعَدْتَه. حَلَّتْ له شفاعتي يوم القيامة»**.

وفي «سنن أبي داود»[(٢)] عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: يا رسول الله، إن المؤذنين يَفْضُلُوننا. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«قُلْ كما يقولون، فإذا انتهيتَ فَسَلْ تُعْطَه»**.

وعن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«من قال حين يسمع المؤذِّن: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبدُه ورسولُه، رضيتُ بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسولًا. غفر الله له ذنوبَه»**[(٣)].

فهذه خمسُ سُنَنٍ في الأذان:

* إجابتُه.

---

(١) برقم (٦١٤، ٤٧١٩).
(٢) برقم (٥٢٤)، وصححه ابن حبان (١٦٩٥).
(٣) أخرجه مسلم (٣٨٦).

* وقولُ: «رضيت بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسولًا» حين يسمع التشهد.

* وسؤالُ الله تعالىٰ لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الوسيلة والفضيلة.

* والصلاةُ عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

* والدعاءُ لنفسه ما شاء.

❊❊❊❊❊

ص٢٧٠

الفصل العاشر

في أذكار الاستفتاح

في «الصحيحين»[1] أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول في استفتاحه: «**اللهم باعِدْ بيني وبين خطاياي كما باعَدتَ بين المشرق والمغرب، اللهم نقِّني مِن خطاياي كما يُنقَّىٰ الثوب الأبيض من الدَّنَسِ، اللهم اغسِلْني من خطاياي بالماء والثلج والبَرَد**».

وفي «السنن الأربعة»[2] عن عائشة وأبي سعيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وغيرهما أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا استفتح الصلاة قال: «**سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالىٰ جدُّك، ولا إله غيرك**».

---

(١) البخاري (٧٤٤)، ومسلم (٥٩٨).

(٢) أبو داود (٧٧٥، ٧٧٦)، والترمذي (٢٤٢، ٢٤٣)، والنسائي (٨٩٨)، وابن ماجه (٨٠٤، ٨٠٦)، وصححه ابن خزيمة (١/ ٢٣٩- ٢٤٠).

وهو في «صحيح مسلم»[(١)] عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موقوفٌ عليه.

وفي «صحيح مسلم»[(٢)] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفتتح صلاته إذا قام من الليل: «**اللهم رَبَّ جِبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطرَ السماوات والأرض، عالِمَ الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختُلِفَ فيه من الحقِّ بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلىٰ صراطٍ مستقيم**».

❊❊❊❊❊

الفصل الحادي عشر

ص٢٧٥

في ذِكْر الركوع والسجود، والفصلِ بينهما، وبين السجدتين

في «السنن الأربعة»[(٣)] عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول إذا ركع: «**سبحان رَبِّيَ العظيم**» ثلاثَ مراتٍ، وإذا سجد قال: «**سبحان رَبِّيَ الأعلىٰ**» ثلاث مرات.

وفي «الصحيحين»[(٤)] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أن يقول في ركوعه وسجوده: «**سبحانك اللهم ربَّنا وبحمدك، اللهم اغفر لي**».

وفي «صحيح مسلم»[(٥)] عنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول في

---

(١) برقم (٣٩٩/ ٥٢).
(٢) برقم (٧٧٠).
(٣) أبو داود (٨٧١)، والنسائي (١٠٠٧)، والترمذي (٢٦٢)، وابن ماجه (٨٨٨)، وأخرجه أيضًا مسلم (٧٧٢). واللفظ لابن ماجه، وليس عند غيره التقييد بالثلاث.
(٤) البخاري (٤٩٧)، ومسلم (٤٨٤).
(٥) برقم (٤٨٧).

ركوعه وسجوده: «**سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، ربُّ الملائكة والرُّوح**».

وفي «صحيح مسلم»[(١)] عن أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا رفع رأسه من الركوع قال: «**اللهم ربَّنا لك الحمد، مِلْءَ السماوات، ومِلْءَ الأرض، ومِلْءَ ما بينهما، ومِلْءَ ما شئتَ مِن شيءٍ بعدُ، أهلَ الثناء والمجد، أحقُّ ما قال العبدُ، وكلُّنا لك عبدٌ، اللهمَّ لا مانعَ لِما أعطيتَ، ولا مُعْطِيَ لِما منعتَ، ولا ينفعُ ذا الجَدِّ منك الجَدُّ**».

وفي «صحيح مسلم»[(٢)] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَقْرَبُ ما يكون العبدُ من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء**».

وعنه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول في سجوده: «**اللهم اغفر لي ذنبي كُلَّه: دِقَّهُ وَجِلَّهُ، وأَوَّلَهُ وآخِرَه، وعلانيتَه وَسِرَّه**»[(٣)].

وفي «سنن أبي داود»[(٤)] عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول بين السجدتين: «**اللهم اغفر لي، وارحمني، واهدني، واجْبُرْني، وعافني، وارزقني**».

وفي «السنن»[(٥)] أيضًا عن حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول بين السجدتين: «**ربِّ اغفِرْ لي، ربِّ اغفِرْ لي**».

---

(١) برقم (٤٧٧).
(٢) برقم (٤٨٢).
(٣) أخرجه مسلم (٤٨٣).
(٤) برقم (٧٤٦)، وأخرجه أيضًا الترمذي (٢٨٤، ٢٨٥)، وابن ماجه (٨٩٨)، وضعفه الترمذي.
(٥) أخرجه أبو داود (٨٧٤)، والنسائي (١١٤٥، ١٦٦٥)، وصححه ابن خزيمة (٦٨٤)، والحاكم (١/ ٣٢١).

ص٢٨٠

الفصل الثاني عشر

في أدعية الصلاة، وبعد التشهُّد

في «الصحيحين»[١] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا فرغ أحدُكم من التشهد، فليتعوَّذْ بالله من أربعٍ: من عذاب القبر، ومن عذاب جهنم، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شرِّ فتنة المسيح الدجال**».

وقد تقدم في «الصحيحين»[٢] أن أبا بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلِّمْني دعاءً أدعو به في صلاتي. فقال: «**قُلْ: اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفِرْ لي مغفرةً من عندك، وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم**».

وفي «سنن النسائي»[٣] أن عمار بن ياسر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ صلَّىٰ صلاةً ودعا بدعوات وقال: سمعتهن من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهم بِعِلْمِكَ الغيب وقُدْرَتِكَ علىٰ الخلق، أَحْيِني إذا علمتَ الحياة خيرًا لي، وتَوَفَّني إذا علمتَ الوفاةَ خيرًا لي، إني أسألك خشيتَك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمةَ الحق في الغضب والرضا، وأسألك القَصْدَ في الفقر والغِنىٰ، وأسألك نعيمًا لا يَنْفَد، وأسألك قُرَّةَ عَيْنٍ لا تنقطع، وأسألك الرضا بعد القضاء، وأسألك بَرْدَ العَيْشِ بعد الموت، وأسألك لذَّةَ النظر إلىٰ وجهك والشوقَ إلىٰ لقائك في غير ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ ولا فتنةٍ مضلةٍ، اللهم زَيِّنَّا بزينة الإيمان واجعَلْنا هُداةً مُهتدين**».

---

(١) البخاري (١٣٧٧)، ومسلم (٥٨٨).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) برقم (١٣٠٤)، وصححه ابن حبان (١٩٧١).

ص٢٨٣

الفصل الثالث عشر

في الأذكار المشروعة بعد السلام، وهو إدبار السجود

في «صحيح مسلم»[(١)] عن ثوبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثًا وقال: «**اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركتَ يا ذا الجلال والإكرام**».

وفي «الصحيحين»[(٢)] عن المغيرة بن شعبة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا فرغ من الصلاة قال: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو علىٰ كل شيء قدير، اللهم لا مانعَ لِما أعطيتَ، ولا مُعطيَ لِما منعتَ، ولا ينفع ذا الجَدِّ منك الجَدُّ**».

وفي «صحيح مسلم»[(٣)] عن عبد الله بن الزبير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يُهَلِّلُ دُبُرَ كل صلاةٍ حين يُسَلِّمُ بهؤلاء الكلمات: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو علىٰ كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إيَّاه، له النِّعمةُ وله الفضلُ وله الثناءُ الحَسَن، لا إله إلا الله مخلصين له الدينَ ولو كَرِهَ الكافرون**».

وفي «صحيح مسلم»[(٤)] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) برقم (٥٩١).
(٢) البخاري (٢٨٤٤)، ومسلم (٥٩٣).
(٣) برقم (٥٩٤).
(٤) برقم (٥٩٧).

قال: «**من سبَّح اللهَ في دُبُرِ كل صلاة ثلاثًا وثلاثين، وكبَّر اللهَ ثلاثًا وثلاثين، وَحَمِد الله ثلاثًا وثلاثين، وقال تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو علىٰ كل شيء قدير. غُفِرَت خطاياه وإن كانت مِثْلَ زَبَدِ البحر**».

وفي «السنن»(١) عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أَمَرَني رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أقرأ بالمعوِّذتَين دُبُرَ كلِّ صلاة.

وفي «النسائي الكبير»(٢) عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من قرأ آية الكرسي عَقِبَ كلِّ صلاةٍ، لم يمنَعْه من دخول الجنة إلّا أن يموت**» يعني: لم يكن بينه وبين دخول الجنة إلا الموت.

وبلغني عن شيخ الإسلام ابن تيمية قال: ما تركتُه عقيب كل صلاة إلا نسيانًا. أو نحوه.

❀❀❀❀❀

الفصل الرابع عشر

ص٢٨٧

في ذِكْرِ التشهد

في «الصحيحين»(٣) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: علَّمني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التشهد، وكَفِّي بين كَفَّيه، كما يعلمني السورة من القرآن: «**التحيات لله**

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥٢٣)، والنسائي (١٣٣٥)، والترمذي (٢٩٠٣)، وصححه ابن خزيمة (٧٥٥)، وابن حبان (٢٠٠٤).

(٢) (٩/ ٤٤)، وصححه ابن كثير في «التفسير» (٢/ ٦٢٣).

(٣) البخاري (٨٣١)، ومسلم (٤٠٢).

والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلىٰ عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه».

وفي «صحيح مسلم»[(١)] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُنا التشهد كما يُعَلِّمُنا السورة من القرآن، وكان يقول: «**التحياتُ المباركاتُ الصلواتُ الطيباتُ لله، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلىٰ عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله**».

❖❖❖❖❖

الفصل الخامس عشر

ص٢٩١

في ذكر الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

في «الصحيحين»[(٢)] عن كعب بن عُجرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرج علينا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقلنا: يا رسول الله، قد عرفنا كيف نُسَلِّمُ عليك، فكيف نُصَلِّي عليك؟ قال: «**قولوا: اللهم صلِّ علىٰ محمد وعلىٰ آلِ محمد، كما صليت علىٰ آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد، كما باركت علىٰ آل إبراهيم إنك حميد مجيد**».

وفي «الصحيحين»[(٣)] أيضًا: عن أبي حميد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنهم قالوا: يا رسول الله! كيف نصلي عليك؟ قال: «**قولوا: اللهم صل علىٰ محمد، وعلىٰ أزواجه**

---

(١) برقم (٤٠٢).
(٢) البخاري (٣٣٧٠)، ومسلم (٤٠٦).
(٣) البخاري (٣٣٩٦)، ومسلم (٤٠٧).

وذريَّتِه، كما صليتَ علىٰ آل إبراهيم، وبارك علىٰ محمد، وعلىٰ أزواجه وذريته، كما باركت علىٰ آل إبراهيم، إنك حميد مجيد».

❀❀❀❀❀

الفصل السادس عشر

ص٢٩٣

في ذكر الاستخارة

في «صحيح البخاري»[(١)] عن جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كان رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يعلمنا الاستخارةَ في الأمر كما يعلمنا السورةَ من القرآن، يقول: «**إذا هَمَّ أحدكم بالأمر فليركَعْ ركعتين من غير الفريضة ثم ليَقُل: اللهم إني أستخيرك بعلمِك، وأستَقْدِرُك بقُدرتِك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تَقْدِرُ ولا أَقْدِرُ، وتَعْلَمُ ولا أعلم، وأنت علَّامُ الغيوب، اللهم إن كنتَ تعلمُ أن هذا الأمرَ - ويُسَمِّي حاجته - خيرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، فاقدُرْه لي ويَسِّرْهُ لي ثم بارك لي فيه، وإن كنتَ تعلمُ أن هذا الأمرَ شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، فاصرفه عني، واصرفني عنه، واقدُر لِيَ الخيرَ حيث كان، ثم رَضِّني به**».

❀❀❀❀❀

ص٢٩٥

الفصل السابع عشر

في أذكار الكرب والغمّ والحُزن والهمّ

في «الصحيحين»[(٢)] عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان

---

(١) برقم (١١٦٢).

(٢) البخاري (٦٣٤٦)، ومسلم (٢٧٣٠).

يقول عند الكرب: «**لا إله إلا الله العظيمُ الحليمُ، لا إله إلا الله ربُّ العرش العظيم، لا إله إلا الله ربُّ السماوات، وربُّ الأرض، وربُّ العرش الكريم**».

وفي «سنن أبي داود»(١) عن أبي بكرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**دَعَواتُ المكروب: اللهم رَحْمَتَكَ أرجو، فلا تَكِلْنِي إلىٰ نفسي طَرْفَةَ عينٍ، وأَصْلِحْ لي شأني كلَّه، لا إله إلا أنت**».

وفي «مسند الإمام أحمد» و«صحيح ابن حبان»(٢) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**ما أصاب عبدًا همٌّ ولا حُزْنٌ فقال: اللهم إني عبدُك، ابنُ عبدِك، ابنُ أَمَتِك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فِيَّ حكمُك، عدلٌ فِيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسمٍ هو لك، سَمَّيْتَ به نفسَك، أو أنزلتَه في كتابك، أو عَلَّمْتَه أحدًا من خلقك، أو استأثرتَ به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيعَ قلبي، ونورَ بصري، وجَلاءَ حُزْني، وذهاب هَمِّي. إلا أذهب الله همَّه وحُزنَه، وأبدلَه مكانَه فرحًا**».

***

الفصل الثامن عشر

ص٢٩٩

في الأذكار الجالبةِ للرِّزْقِ، الدافعةِ للضِّيقِ والأذى

قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عن نبيه نوح عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح: ١٠-١٢].

---

(١) برقم (٥٠٤٩)، وصححه ابن حبان (٩٧٠).

(٢) أحمد (٢/ ٤٧، ١٨١)، وابن حبان (٩٧٢).

وفي بعض المسانيد عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَن لزم الاستغفارَ جعل اللهُ له مِن كلِّ هَمٍّ فَرَجًا، ومن كل ضيقٍ مخرجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حيثُ لا يحتسب**»[١].

❁❁❁❁❁

ص٣٠٠

الفصل التاسع عشر

في الذكر عند لقاء العدو وَمَنْ يُخاف مِنْ سلطانٍ وغيره

في «سنن أبي داود» و«النسائي»[٢] عن أبي موسىٰ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا خاف قومًا قال: «**اللهم إنا نجعَلُك في نُحُورهم، ونعوذُ بك من شُرُورهم**».

وفي «صحيح البخاري»[٣] عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «**حَسْبُنا اللهُ ونِعْمَ الوكيلُ**» قالها إبراهيم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين أُلْقِيَ في النار، وقالها محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قال له الناس: ﴿**إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ**﴾[آل عمران: ١٧٣].

❁❁❁❁❁

ص٣٠٣

الفصل العشرون

في الأذكار التي تَطْرُدُ الشيطان

قد تقدم أن مَن قرأ آية الكرسي عند نومه لم يَقْرَبْه شيطان، وأن من قرأ الآيتين

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥١٨)، وابن ماجه (٣٨١٩)، وضعفه البغوي في «شرح السنة» (٥/ ٧٩).
(٢) أبو داود (١٥٣٧)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٦٠١)، وصححه ابن حبان (٤٧٦٥)، والحاكم (٢/ ١٤٢).
(٣) برقم (٤٥٦٣).

من آخر سورة البقرة في ليلةٍ كَفَتاه، ومن قال في يومٍ مائة مرة: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير**» كانت له حِرْزًا من الشيطان يومَه كلَّه.

وقال سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٌ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾[فصلت: ٣٦].

والأذان يطرد الشيطان كما تقدم.

وفي «صحيح مسلم»[١] عن عثمان بن أبي العاص رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أنه قال: يا رسول الله، إن الشيطان حال بيني وبين صلاتي وبين قراءتي؛ يَلْبِسُها عَلَيَّ. فقال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**ذاك شيطان يقال له: (خِنْزَب) فإذا أحسَسْتَه فتعوَّذ بالله منه، واتفُلْ عن يسارك ثلاثًا**» ففعلت ذلك فأذهبه اللهُ عَزَّوَجَلَّ عني.

ص٣٠٥

الفصل الحادي والعشرون

في الذكر الذي تُحفَظُ به النِّعَم، وما يُقال عند تجدُّدِها

قال الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ في قصة الرجلين: ﴿ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾[الكهف: ٣٩].

وعنه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أنه كان إذا رأىٰ ما يَسُرُّه قال: «**الحمد لله الذي بنعمته تَتِمُّ الصالحات**» وإذا رأىٰ ما يَسُوؤُه قال: «**الحمد لله علىٰ كُلِّ حال**»[٢].

---

(١) برقم (٢٢٠٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٨٠٣)، وضعفه أبو داود في «المراسيل» (٥٣٢).

ص٣٠٧

الفصل الثاني والعشرون

في الذكر عند المصيبة

قال الله تعالىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

وقالت أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**ما من عبدٍ تصيبه مصيبةٌ فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أْجُرْنِي في مصيبتي وأَخْلِفْ لي خيرًا منها. إلا أَجَره اللهُ تعالىٰ في مصيبته، وأخلَفَ له خيرًا منها**» قالت: فلما توفي أبو سلمة قُلْتُ كما أمرني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأَخْلَفَ الله لي خيرًا منه؛ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [(١)].

ص٣٠٩

الفصل الثالث والعشرون

في الذكر الذي يُدفَع به الدَّينُ ويُرْجَى قضاؤُه

في «الترمذي»[(٢)] عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن مُكاتبًا جاءه فقال: إني عجَزْتُ عن كتابتي فَأَعِنِّي. فقال: ألا أُعَلِّمُكَ كلماتٍ عَلَّمَنِيهِنَّ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لو كان عليك مثْلُ جبلِ أُحُدٍ دينًا أدَّاهُ الله عنك؟ قل: «**اللهم اكْفِنِي بحلالك عن حرامك، وأَغْنِنِي بفضلك عَمَّنْ سِواك**» قال الترمذي: حديث حسن.

---

(١) أخرجه مسلم (٩١٨).

(٢) برقم (٣٥٦٣) وحسنه، وصححه الحاكم (١/ ٥٣٨).

ص٣١٠

الفصل الرابع والعشرون

في الذكر الذي يُرقى به من اللَّسْعَة واللَّدْغَة وغيرهما

في «صحيح البخاري»[١] عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَوِّذ الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ويقول: «**إن أباكما كان يُعَوِّذ بها إسماعيل وإسحاق: أُعِيذُكما بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامَّة، ومن كل عَيْنٍ لامَّة**».

وفي «الصحيحين»[٢] عن أبي سعيد الخُدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلاً من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَقَىٰ لديغًا بفاتحة الكتاب، فجعل يَتْفُلُ عليه ويقرأ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فكأنما نَشِطَ من عِقَالٍ، فانطلق يمشي وما به قَلَبَة... الحديث.

وفي «الصحيحين»[٣] أيضًا عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يُعَوِّذ بعض أهله يمسح بيده اليمنىٰ ويقول: «**اللهم رَبَّ الناس، أَذْهِبِ الباس، وَاشْفِ أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شِفاءً لا يُغادر سَقَمًا**».

*****

ص٣١٣

الفصل الخامس والعشرون

في ذكر دخول المقابر

---

(١) برقم (٣٣٧١).

(٢) البخاري (٢٢٧٦)، ومسلم (٢٢٠١).

(٣) البخاري (٥٧٤٣)، ومسلم (٢١٩١).

في «صحيح مسلم»[١] عن بُريدة بن الحُصيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُهُم إذا خرجوا إلىٰ المقابر أن يقول قائلهم: «**السلام عليكم أهلَ الدِّيار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية**».

*****

الفصل السادس والعشرون

ص٣١٤

في ذكر الاستسقاء

قال تعالىٰ: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾[نوح:١٠-١١].

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أَتَتِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَواكٍ فقال: «**اللهم اسقِنا غيثًا مُغيثًا، مَرِيئًا مريعًا**[٢] **نافعًا غير ضارٍّ، عاجلاً غير آجل**» فَأَطْبَقَتْ عليهم السماء[٣].

وفي «سنن أبي داود»[٤] عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا استسقىٰ قال: «**اللهم اسْقِ عبادَك وبهائمَك، وَانْشُرْ رحمتَك، وأَحْيِ بلدَك الميت**».

*****

---

(١) برقم (٩٧٥).

(٢) المريء: ما يُحمَد عاقبته، والمريع: المُخصِب.

(٣) أخرجه أبو داود (١١٦٩)، وصححه ابن خزيمة (١٤١٦) والحاكم (١/ ٣٢٧).

(٤) برقم (١١٧٦)، وأعلّه أبو حاتم الرازي كما في «العلل» (١/ ٧٩- ٨٠).

ص٣١٧

الفصل السابع والعشرون

في أذكار الرياح إذا هاجت

في «صحيح مسلم»[١] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا عَصَفَتِ الريحُ قال: **«اللهم إني أسألك خيرَها، وخيرَ ما فيها، وخيرَ ما أُرْسِلَتْ به، وأعوذ بك من شرِّها، وشرِّ ما فيها، وشرِّ ما أُرْسِلَتْ به»**.

❀❀❀❀❀

ص٣١٨

الفصل الثامن والعشرون

في الذكر عند الرعد

كان عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إذا سمع الرعدَ ترك الحديث، فقال: سبحان الذي يُسَبِّحُ الرعدُ بحمده والملائكةُ من خِيفته[٢].

ص٣٢٠

الفصل التاسع والعشرون

في الذكر عند نزول الغيث

في «صحيح البخاري»[٣] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا رأى المطر قال: **«صَيِّبًا نافعًا»**.

❀❀❀❀❀

---

(١) برقم (٨٩٩).

(٢) أخرجه مالك في «الموطأ» (٢/ ٥٩١)، وصححه النووي في «الأذكار» (١/ ٤٧٢).

(٣) برقم (١٠٣٢).

الفصل الثلاثون

٣٢١

في الذكر والدعاء عند زيادة المطر وكثرة المياه والخوف منها

في «الصحيحين»[(١)] عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: دخل رجل المسجدَ يومَ جمعةٍ ورسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قائم يخطب الناس، فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادْعُ الله يغيثنا. فرفع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يديه ثم قال: «**اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا**» قال أنس: والله ما نرىٰ في السماء من سحابٍ ولا قَزَعَة[(٢)] وما بيننا وبين سَلْعٍ[(٣)] من بنيان ولا دار، فطلعت من ورائه سحابةٌ مثل التُّرس، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت، فلا واللهِ ما رأينا الشمس سَبْتًا، ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة، ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قائم يخطب فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها عنَّا، فرفع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يديه ثم قال: «**اللهم حوالَيْنا ولا علينا، اللهم علىٰ الآكامِ والظِّرابِ**[(٤)] **وبُطونِ الأودية، ومَنَابتِ الشجر**» قال: فأقْلَعَتْ، وخرجنا نمشي في الشمس.

❊❊❊❊❊

الفصل الحادي والثلاثون

ص٣٢٢

في الذكر عند رؤية الهلال

---

(١) البخاري (١٠١٤)، ومسلم (٨٩٥).

(٢) القَزعة: القطعة من الغَيْم. «النهاية» لابن الأثير (٤/ ٥٩).

(٣) جبل متصل بالمدينة. «معجم ما استعجم» للبكري (٣/ ٧٤٧).

(٤) الآكام: الرَّوابي. والظِّراب: الجبال الصغار.

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا رأىٰ الهلال قال: «**الله أكبر، اللهم أَهِلَّهُ علينا بالأمنِ والإيمان، والسلامة والإسلام، والتوفيقِ لما تحب وترضىٰ، رَبُّنا وربُّك الله**»[(١)].

❃❃❃❃❃

ص٣٢٣

الفصل الثاني والثلاثون

في الذكر للصائم، وعند فطره

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثلاثة لا تُردُّ دَعوتُهم: الصائمُ حين يُفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم**» حديث حسن[(٢)].

وقال ابن أبي مُلَيكة: سمعت عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إذا أفطر يقول: اللهم إني أسألك برحمتك التي وَسِعَتْ كلَّ شيءٍ أن تغفرَ لي[(٣)].

ويُذْكَر عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان إذا أفطر قال: «**اللهم لك صمتُ، وعلىٰ رزقِكَ أفطرت**»[(٤)].

❃❃❃❃❃

---

(١) أخرجه الدارمي (١/ ٤٢٨)، وصححه ابن حبان (٨٨٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٩٨)، وابن ماجه (١٧٥٢)، وصححه ابن خزيمة (١٩٠١)، وابن حبان (٣٤٢٨). ولفظ الحديث في المصادر: «**الصائم حتىٰ يفطر**».

(٣) برقم (١٧٥٣)، وحسّنه ابن حجر كما في «الفتوحات الربانية» (٤/ ٣٤٢).

(٤) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٧/ ٢٩٨)، وضعفه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ١٥٦).

الفصل الثالث والثلاثون

ص٣٢٦

في أذكار السفر

في «مسند الإمام أحمد»[(١)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**من أراد سفرًا فليَقُل لمن يُخلِّف: أستودعكم الله الذي لا تَضِيعُ ودائِعُه**».

وقال سالم: كان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول للرجل إذا أراد سفرًا: ادْنُ مني أودِّعْك كما كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يودِّعُنا، فيقول: «**أَستَودِعُ اللهَ دينَك وأمانتَك وخواتيمَ عملِك**»[(٢)].

❊❊❊❊❊

الفصل الرابع والثلاثون

ص٣٣١

في ركوبِ الدابة والذكر عنده

قال علي بن ربيعة: شهدتُ علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أُتِيَ بدابَّةٍ ليركبها، فلما وضع رجله في الركاب قال: بسم الله. فلما استوىٰ علىٰ ظهرها قال: الحمد لله. ثم قال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف:١٣-١٤] ثم قال: «**الحمد لله**» ثلاث مرات، ثم قال: «**الله أكبر**» ثلاث مرات، ثم قال: «**سبحانك، إني ظلمت نفسي فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**» ثم ضحك، فقيل: يا أمير المؤمنين، مِنْ أيِّ شيءٍ ضحكتَ؟ فقال: رأيتُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) (٣/ ٣٤٢، ٤٥٩) بنحوه، وأخرجه الطبراني في «الدعاء» (٢/ ١١٨٢- ١١٨٣) باللفظ المذكور. والحديث حسَّنه ابن حجر كما في «الفتوحات الربانية» (٥/ ١١٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٤٣)، وصححه ابن خزيمة (٢٥٣١)، والحاكم (١/ ٤٤٢).

فعل كما فعلتُ ثم ضحك، فقلت: يا رسول الله، من أيِّ شيء ضحكتَ؟ فقال: «**إن ربَّك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يَعجَبُ مِن عبده إذا قال: اغفِرْ لي ذنوبي. يَعلمُ أنه لا يغفر الذنوب غيري**» رواه أهل السنن وصححه الترمذي[1].

وفي «صحيح مسلم»[2] عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا استوىٰ علىٰ بعيره خارجًا إلىٰ سفر، كبَّر ثلاثًا ثم قال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ «**اللهم إنَّا نسألك في سفرنا هذا البرَّ والتقوىٰ، ومن العمل ما ترضىٰ، اللهم هَوِّنْ علينا سفرَنا هذا، واطْوِ عنَّا بُعْدَه، اللهم أنت الصاحبُ في السفر، والخليفةُ في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وَعْثَاءِ السفر، وكآبةِ المنظر، وسوء المُنْقَلَبِ في المال والأهل**» وإذا رجع قالهن وزاد فيهن: «**آيبون، تائبون، عابدون، لربِّنا حامدون**».

✤✤✤✤✤

ص٣٣٣

الفصل الخامس والثلاثون

في ذكر الرجوع من السفر

قال عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا قَفَل من حج أو عمرة أو غزوٍ، يُكَبِّر علىٰ كل شَرَفٍ[3] من الأرض ثلاث مرات، ثم يقول: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو علىٰ كل شيء قدير، آيبون، تائبون،**

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٠٢)، والترمذي (٣٤٤٦)، وصححه الترمذي، وابن حبان (٢٦٩٧).
(٢) برقم (١٣٤٢).
(٣) الشَّرَفُ: الموضع العالي يُشْرِفُ علىٰ ما حوله.

عابدون، ساجدون، لربنا حامدون، صدق الله وعدَه، ونصَرَ عبدَه، وهزم الأحزابَ وحدَه» رواه البخاري ومسلم[١].

❊❊❊❊❊

الفصل السادس والثلاثون

ص٣٣٤

في الذكر على الدابةِ إذا اسْتَصْعَبَتْ

قال يونس بن عُبيدٍ: ليس رَجلٌ يكون علىٰ دابَّةٍ صَعْبةٍ فيقول في أُذنها: ﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣] إلا وقفت بإذن الله تعالىٰ[٢].

قال شيخنا قدس الله روحه: وقد فعلنا ذلك فكان كذلك[٣].

❊❊❊❊❊

الفصل السابع والثلاثون

ص٣٤٥

في الدابة إذا انْفَلَتَتْ وما يُذْكَرُ عند ذلك

عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا انفلتت دابَّةُ أحدِكم بأرضٍ فلاةٍ، فليناد: يا عباد الله احبِسُوا. فإن للهِ عَزَّوَجَلَّ حاضرًا سَيَحْبِسُه**»[٤].

---

(١) البخاري (١٧٩٧)، ومسلم (١٣٤٤).

(٢) أخرجه ابن السُّنِّي في «عمل اليوم والليلة» (٥١١).

(٣) «الكلم الطيب» (١٤٧).

(٤) أخرجه أبو يعلىٰ (٩/ ١٧٧)، وضعفه ابن حجر كما في «الفتوحات الربانية» (٥/ ١٥٠). وروي موقوفًا علىٰ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا من قوله، أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٣/ ٣٧٣-

ص٣٣٦

الفصل الثامن والثلاثون

في الذكر عند القرية أو البلدة إذا أراد دخولها

عن صهيب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَرَ قَرْيَةً يريد دخولها إلا قال حين يراها: «**اللهم ربَّ السماوات السبع وما أَظْلَلْنَ، وربَّ الأَرَضِينَ السبع وما أَقْلَلْنَ، وربَّ الشياطينِ وما أَضْلَلْنَ، وربَّ الرياح وما ذَرَيْنَ، أسألك خيرَ هذه القرية، وخيرَ أهلِها، وخيرَ ما فيها، وأعوذ بك من شرِّها، وشرِّ أهلِها، وشرِّ ما فيها**» رواه النسائي[(١)].

❀❀❀❀❀

ص٣٣٧

الفصل التاسع والثلاثون

في ذكر المنزل يريد نزوله

قالت خولة بنت حكيم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**من نزل منزلًا ثم قال: أعوذُ بكلمات الله التامَّات من شرِّ ما خلق. لم يَضُرَّه شيء حتىٰ يَرْتَحِلَ من منزله ذلك**» رواه مسلم[(٢)].

❀❀❀❀❀

ص٣٣٨

الفصل الأربعون

في ذكر الطعام والشراب

---

٣٧٤) وسنده حسن.

(١) في «عمل اليوم والليلة» (٥٤٤)، وصححه ابن خزيمة (٢٥٦٥)، وابن حبان (٢٧٠٩).

(٢) برقم (٢٧٠٨).

قال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾[البقرة: ١٧٢].

وقال عمر بن أبي سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: قال لي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا بُنَيَّ، سَمِّ اللهَ تعالىٰ، وَكُلْ بيمينك، وَكُلْ مِمَّا يَلِيك**» متفق عليه(١).

وقالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا أكل أحدُكم فليَذْكر اسمَ الله تعالىٰ في أَوَّلِه، فإن نَسِيَ أن يذكر اسمَ الله تعالىٰ في أَوَّلِه فليقُل: بسم الله أَوَّلَه وآخِرَه**» قال الترمذي: حديث حسن صحيح(٢).

وقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله لَيَرْضَىٰ عن العبد أن يأكلَ الأَكْلَةَ فيحمَدَه عليها، ويشرب الشَّرْبَة فيحمَدَه عليها**» رواه مسلم في «صحيحه» من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ(٣).

وعن معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من أكل أو شرب فقال: الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام، ورزقَنِيه من غيرِ حولٍ منِّي ولا قوة. غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه**» قال الترمذي: حديث حسن(٤).

---

(١) البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢).
(٢) أخرجه أبو داود (٣٧٦٧)، والترمذي (١٨٥٨)، وابن ماجه (٣٢٦٤)، وصححه الترمذي وابن حبان (٥٢١٤).
(٣) برقم (٢٧٣٤).
(٤) أخرجه أبو داود (٤٠١٩)، والترمذي (٣٤٥٨)، وابن ماجه (٣٢٨٥)، وحسَّنه الترمذي، وابن حجر في «نتائج الأفكار» (١/ ١٢٣).

وفي «صحيح البخاري»[(١)] عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا رفع مائدته قال: «**الحمد لله كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، غيرَ مَكْفِيٍّ ولا مُوَدَّعٍ ولا مُسْتَغنًى عنه ربَّنا**».

❀❀❀❀❀

ص٣٤٢

الفصل الحادي والأربعون
في ذكر الضيف إذا نَزَل بقوم

عن عبد الله بن بُسْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: نزل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أبي، فَقَرَّبْنا إليه طعامًا، ثم أُتِيَ بشرابٍ، فقال أبي: ادْعُ الله تعالى لنا. فقال: «**اللهم بارِك لهم فيما رزقتَهم، واغفِرْ لهم وارحَمْهم**» رواه مسلم[(٢)].

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء إلى سعد بن عُبادةَ، فجاء بخبزٍ وزيتٍ، فَأَكَلَ، ثم قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامَكم الأبرارُ، وصَلَّتْ عليكم الملائكة**» رواه أبو داود[(٣)].

❀❀❀❀❀

ص٣٤٤

الفصل الثاني والأربعون
في السلام

عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رجلًا سأل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أيُّ الإسلام خير؟ قال: «**تُطْعِمُ الطعام، وتقرأُ السلامَ على من عرفتَ ومن لم تعرف**» متفق عليه[(٤)].

(١) برقم (٥٤٥٨).
(٢) برقم (٢٠٤٢).
(٣) برقم (٣٨٥٤)، وصححه النووي في «الأذكار» (٢/ ٥٩٩).
(٤) البخاري (١٢)، ومسلم (٣٩).

وقال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تدخلوا الجنة حتىٰ تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتىٰ تحابُّوا، أفلا أَدُلُّكمْ علىٰ شيءٍ إذا فعلتموه تَحابَبْتُمْ؟ أَفشُوا السلامَ بينكم**» رواه أبو داود[(١)].

وقال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا انتهىٰ أحدكم إلىٰ المجلس فَلْيُسَلِّمْ، فإذا أراد أن يقوم فلْيُسَلِّمْ، فليست الأولىٰ بِأَحَقَّ من الآخرة**» حديث حسن[(٢)].

❊❊❊❊❊

الفصل الثالث والأربعون

في الذكر عند العُطاس

ص٣٤٧

قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا عَطَس أحدكُم فليقل: الحمد لله. وليقل له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله. فإذا قال: يرحمك الله. فليقل: يهديكم الله ويُصْلِحُ بالَكُمْ**» رواه البخاري[(٣)].

وفي لفظ أبي داود[(٤)]: «**الحمد لله علىٰ كل حال**».

❊❊❊❊❊

الفصل الرابع والأربعون

في ذكر النكاح والتهنئة به، وذِكرِ الدُّخولِ بالزوجة

ص٣٤٩

(١) برقم (٥١٩٣)، وهو في «صحيح مسلم» (٥٤).
(٢) أخرجه أبو داود (٥٢٠٨)، والترمذي (٢٧٠٦)، وصححه ابن حبان (٤٩٤).
(٣) برقم (٦٢٢٤).
(٤) برقم (٥٠٣٣).

قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَلَّمَنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطبة النكاح: «**الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله**».

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١] رواه أهل السنن الأربعة[١] وقال الترمذي: حديث حسن.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا رَفَّأَ الإنسانَ إذا تزوج قال: «**بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكما في خير**» قال الترمذي: حديث حسن صحيح[٢].

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا تزوَّج أحدُكم امرأةً أو اشترى خادمًا فليقل: اللهم إني أسألك خيرها وخير ما جَبَلْتَها عليه، وأعوذ بك من شرِّها وشرِّ ما جَبَلْتَها عليه. وإذا اشترى بعيرًا فليأخذ بِذُرْوَةِ سنامه وليقل مثل ذلك**» رواه أبو داود[٣].

(١) أبو داود (٢١١٨)، والنسائي (١٤٠٣)، والترمذي (١١٠٥)، وابن ماجه (١٨٩٢).

(٢) أخرجه أبو داود (٢١٣٠)، والنسائي (١٤٠٣)، والترمذي (١٠٩١)، وابن ماجه (١٩٠٥)، وصححه الترمذي، وابن حبان (٤٠٥٢)، والحاكم (٢/ ١٨٣).

(٣) برقم (٢١٦٠)، وأخرجه أيضًا ابن ماجه (١٩١٨)، وصححه الحاكم (٢/ ١٨٥).

وفي «الصحيحين»[(١)] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«لو أنَّ أحدكم إذا أتىٰ أهلَه قال: (بسم الله، اللهم جَنِّبْنا الشيطانَ، وجَنِّبِ الشيطانَ ما رزقتَنا) فقُضِيَ بينهما ولد، لم يَضُرَّه شيطان أبدًا»**.

❊❊❊❊❊

الفصل الخامس والأربعون

ص٣٥٢

في الذكر عند الولادة، والذكر المُتَعلِّقِ بالولد

يُذْكَر أن فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لما دنا وِلادُها، أَمَر النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّ سلمة وزينبَ بنتَ جحشٍ أن تأتياها فتقرآ عليها آية الكرسي، و﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ إلىٰ آخر الآيتين [الأعراف:٥٤-٥٥] وتعوِّذانها بالمعوذتين[(٢)].

وقال أبو رافع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **رأيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أذَّن في أُذن الحسن بن علي حين ولدَتْه فاطمة بالصلاة.** قال الترمذي: حديث حسن صحيح[(٣)].

وقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: **كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُؤْتَىٰ بالصبيان، فيدعو لهم بالبركة ويُحَنِّكُهم.** رواه أبو داود[(٤)].

وقال عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: **إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر بتسمية المولود يومَ سابعِه، وَوَضْعِ الأذىٰ عنه، والعَقِّ.** قال الترمذي: حديث حسن[(٥)].

---

(١) البخاري (١٤١)، ومسلم (١٤٣٤).

(٢) أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٦٢١)، وسنده شديد الضعف.

(٣) أخرجه أبو داود (٥١٠٥)، والترمذي (١٥١٤)، وضعفه ابن حبان في «المجروحين» (٢/ ١٢٨).

(٤) برقم (٥١٠٦)، وهو في «صحيح مسلم» (٢٨٦)، وأخرجه البخاري (٥٩٩٤) بذكر الدعاء فقط.

(٥) برقم (٢٨٣٢).



وقد سَمَّىٰ النبيُّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ابنَه إبراهيم[(١)] وإبراهيمَ بن أبي موسىٰ[(٢)] وعبدَ الله بن أبي طلحة[(٣)] والمنذرَ بن أبي أُسَيد[(٤)] قريبًا من ولادتهم.

ص٣٥٨

الفصل السادس والأربعون
في صياح الديكة والنَّهِيق والنُّباح

في «الصحيحين»[(٥)] عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: **«إذا سمعتم نَهِيقَ الحمير فتعوَّذوا بالله من الشيطان؛ فإنها رَأَتْ شيطانًا، وإذا سمعتم صِياح الدِّيكة فَسَلُوا اللهَ من فضله؛ فإنها رَأَتْ مَلَكًا»**.

وفي «سنن أبي داود»[(٦)] عن جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«إذا سمعتم نُباح الكلابِ ونهيق الحميرِ بالليل فتعوذوا بالله منهن؛ فإنَّهُنَّ يَرَيْنَ ما لا تَرَوْنَ»**.

❖❖❖❖❖

ص٣٥٩

الفصل السابع والأربعون
في الذكر الذي يُطفَأ به الحريق

يُذْكَر عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله

(١) أخرجه مسلم (٢٣١٥).
(٢) أخرجه البخاري (٥٤٦٧)، ومسلم (٢١٤٥).
(٣) أخرجه البخاري (٥١٥٣)، ومسلم (٢١٤٤).
(٤) أخرجه البخاري (٦١٩١)، ومسلم (٢١٤٩).
(٥) البخاري (٣٣٠٣)، ومسلم (٢٧٢٩).
(٦) برقم (٥١٠٤)، وصححه ابن حبان (١٠٠٥)، والحاكم (١/ ٤٤٥).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا رأيتم الحريق فكبِّروا؛ فإن التكبير يُطْفِئُه**»[١].

*****

الفصل الثامن والأربعون

ص٣٦٠

في كفارة المجلس

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من جلس مجلسًا فكَثُر فيه لَغَطُه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: (سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك) إلا كَفَّرَ الله له ما كان في مجلسه ذلك**» قال الترمذي حديث حسن صحيح[٢].

*****

الفصل التاسع والأربعون

ص٣٦٢

فيما يُقال ويُفعَل عند الغضب

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[فصلت: ٣٦].

وقال سليمان بن صُرَد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كنت جالسًا مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورجلان يَسْتَبَّان، أحدهما قد احمرَّ وجهُه وانتفخَتْ أوداجُه، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إني لأعلَمُ كلمةً لو قالها لذهب عنه ما يَجِدُ، لو قال: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) ذهب**

---

(١) أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٢٩٥)، وهو حديث شديد الضعف.

(٢) برقم (٣٤٣٣)، وصححه أيضا ابن حبان (٥٩٤).

عنه ما يجد» متفق عليه[(١)].

وعن عطية بن عروة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خُلِقَ من النار، وإنما تُطْفَأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ»** رواه أبو داود[(٢)].

وفي حديث آخر: **أنه أَمَرَ مَنْ غَضِب إن كان قائمًا أن يجلس، وإن كان جالسًا أن يضطجع**[(٣)].

❖❖❖❖❖

ص٣٦٣

الفصل الخمسون

فيما يقال عند رؤية أهل البلاء

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«من رأىٰ مبتلًى فقال: الحمدُ لله الذي عافاني مما ابتلاك به، وفضَّلني علىٰ كثيرٍ ممن خلق تفضيلًا. لم يُصِبْه ذلك البلاء»** قال الترمذي: حديث حسن[(٤)].

❖❖❖❖❖

ص٣٦٤

الفصل الحادي والخمسون

في الذكر عند دخول السوق

---

(١) البخاري (٣٢٨٢)، ومسلم (٢٦١٠).

(٢) برقم (٤٧٨٤)، وسنده فيه ضعف.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٧٨٢)، وصححه ابن حبان (٥٦٨٨).

(٤) برقم (٣٤٣٢).

عن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حيٌّ لا يموت، بيده الخيرُ، وهو علىٰ كل شيء قدير. كتب الله له ألفَ ألفِ حسنةٍ، ومحا عنه ألفَ ألفِ سيئةٍ، ورفع له ألفَ ألفِ درجةٍ**» رواه الترمذي[1].

❦❦❦❦❦

الفصل الثاني والخمسون

ص٣٦٥

في الرَّجُلِ إذا خَدِرت رِجْلُه

عن الهيثم بن حَنَشٍ قال: كنا عند عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا فخَدِرَتْ رجلُه، فقال له رجل: اذكر أحبَّ الناس إليك. فقال: يا محمد! فكأنما نَشِط من عِقال[2].

❦❦❦❦❦

الفصل الثالث والخمسون

٣٦٧

في الدابة إذا عَثَرَتْ

عن أبي المَلِيح، عن رجلٍ قال: كنت رديف النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعثرت دابتُه، فقلت: تَعِسَ الشيطان! فقال: «**لا تقُلْ: تَعِسَ الشيطان! فإنك إذا قلتَ ذلك تَعاظَمَ حتىٰ**

---

(١) برقم (٣٤٢٨) وقال: «حديث غريب»، وضعفه ابن القيم في «المنار المنيف» (٢٣-٢٥).

(٢) أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (١٧١)، وسنده ضعيف. وهذا الفعلُ جارٍ علىٰ بعض عادات العرب في الجاهلية، كان الرجلُ إذا خدِرَتْ رِجلُه ذَكَر مَن يحبُّ أو دعاه، فيذهب خَدَرُها؛ وذلك أن ذكر المحبوب يحرِّك الحرارةَ الغريزيَّة في بدنه ويُنعشها. انظر: «صبح الأعشىٰ» (١/ ٤٦٣)، و«بلوغ الأرب» للآلوسي (٢/ ٣٢١) فليس هذا من الأذكار المشروعة علىٰ وجه التعبد.

يكونَ مثلَ البيت، ويقول: بِقُوَّتِي! ولكن قل: بسم الله. فإنك إذا قلت ذلك تصاغَرَ حتىٰ يكون مثل الذباب»[(١)].

❊❊❊❊❊

ص٣٦٨

الفصل الرابع والخمسون

فيمن أَهْدَى هدية أو تَصَدَّقَ بصدقة فدعا له، ماذا يقول؟

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: أُهدِيتْ لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شاةٌ فقال: «اقسِمِيها» وكانت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إذا رجعت الخادم تقول: ماذا قالوا؟ تقول الخادم: قالوا: بارك الله فيكم. تقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: وفيهم بارك الله، نَرُدُّ عليهم مثلَ ما قالوا، ويبقىٰ أجرُنا لنا[(٢)].

وقد رُوِيَ عنها في الصدقة مثل ذلك[(٣)].

❊❊❊❊❊

ص٣٦٩

الفصل الخامس والخمسون

فيمن أُمِيط عنه أذى

عن أبي أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه تناول من لحية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أذىٰ، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَسَح الله عنك يا أبا أيوب ما تكره»[(٤)].

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٨٢)، وصححه الحاكم (٤/ ٢٩٢)، واختاره الضياء في «المختارة» (٤/ ١٩٦).
(٢) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٣٠٣)، وسنده حسن.
(٣) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ١٩٢).
(٤) أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٢٨٢)، وسنده ضعيف.

الفصل السادس والخمسون

ص٣٧٠

في رؤية باكورة الثمرة

قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان الناس إذا رأوا الثمرَ جاؤوا به إلىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**اللهم بارك لنا في ثَمَرِنا، وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعِنا، وبارك لنا في مُدِّنا**» ثم يعطيه أصغر من يحضره من الوِلدان. رواه مسلم[١].

❋❋❋❋❋

الفصل السابع والخمسون

ص٣٧١

في الشيء يراه ويُعْجِبُه ويَخافُ عليه العَين

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [الكهف: ٣٩].

ويُذْكَر عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**إذا رأىٰ أحدكم ما يُعجبه في نفسِه أو مالِه فليبرِّك عليه؛ فإن العين حق**»[٢].

❋❋❋❋❋

الفصل الثامن والخمسون

ص٣٧٣

في الفأل والطِّيَرة

---

(١) برقم (١٣٧٣).

(٢) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٢١١)، وسنده حسن.

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا عدوىٰ ولا طِيَرة، وأصدقها الفأل**» قيل: وما الفأل؟ قال: «**الكلمة الحسنةُ يَسْمَعُها الرجل**»[1].

وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعجبه الفأل.

وعن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سئل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الطيرة، فقال: «**أصدَقُها الفألُ، ولا تَرُدُّ مسلمًا، وإذا رأيتم من الطيرة شيئًا تكرهونه فقولوا: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يَذْهَبُ بالسيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بالله**»[2].

❊❊❊❊❊

ص٣٧٥

الفصل التاسع والخمسون

في الحَمَّام

يُذْكَر عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أنه قال: نِعْم البيتُ الحمَّام يَدْخُلُه المسلم، إذا دخله سأل الله الجنة، واستعاذ به من النار**[3].

❊❊❊❊❊

ص٣٧٦

الفصل الستون

في الذكر عند دخول الخلاء والخروج منه

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٥٦)، ومسلم (٢٢٢٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٩١٩)، وسنده ضعيف.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (١/ ١٠٩)، وصححه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٣/ ٤٧٣).

في «الصحيحين»[(١)] عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا دخل الخلاء قال: «**اللهم إني أعوذُ بك من الخُبُثِ والخَبائث**».

وفي «الترمذي»[(٢)] عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سَتْرُ ما بين الجنِّ وعوراتِ بني آدم إذا دخل الكَنِيف أن يقول: بسم الله**».

وقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا خرج من الغائط قال: «**غفرانك**» رواه الإمام أحمد وأهل السنن[(٣)].

❖❖❖❖❖

الفصل الحادي والستون

ص٣٨٠

في الذكر عند إرادة الوضوء

في «صحيح مسلم»[(٤)] عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديثه الطويل، وفيه: «**يا جابر نادِ بِوَضوءٍ**» فقلت: ألا وَضوءَ؟ ألا وَضوءَ؟ ألا وَضوءَ؟ وفيه: فقال: «**خُذ يا جابر فَصُبّ عَلَيَّ وقل: بسم الله**» فصببت عليه، وقلت: بسم الله. فرأيت الماء يفور من بين أصابع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) البخاري (١٤٢)، ومسلم (٣٧٥).
(٢) برقم (٦٠٦)، وأخرجه أيضًا ابن ماجه (٢٩٧)، وضعفه الترمذي.
(٣) أحمد (٨/ ٢٨٨)، وأبو داود (٣٠)، والترمذي (٧)، وابن ماجه (٣٠٠)، وصححه ابن خزيمة (٩٠)، وابن حبان (١٤٣١).
(٤) برقم (٣٠١٣).

وفي «المسند» و«السنن»[1] من حديث سعد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لا وُضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه»**.

❖❖❖❖❖

ص٣٨٢

الفصل الثاني والستون

في الذكر بعد الفراغ من الوضوء

روىٰ مسلم في «صحيحه»[2] عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«ما منكم من أحدٍ يتوضأ فيبلغ، أو فيُسبِغ الوضوءَ، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه. إلا فُتِحت له أبواب الجنة الثمانية، يَدْخُل من أيِّها شاء»**.

وزاد فيه الترمذي[3] بعد ذكر الشهادتين: **«اللهم اجعلني من التوَّابين واجعلني من المتطهرين»**.

❖❖❖❖❖

ص٣٨٥

الفصل الثالث والستون

في ذكر صلاة الجنازة

---

(١) أحمد (٥/ ٦٩٨)، والترمذي (٢٥)، وابن ماجه (٣٩٨)، وأعلَّه أبو حاتم وأبو زرعة كما في «العلل» (١/ ٥٢).

(٢) برقم (٢٣٤).

(٣) برقم (٥٥) وضعفه.

في «صحيح مسلم»[(١)] عن عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: صلىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ جنازة، فحفظتُ من دعائه وهو يقول: «**اللهم اغفِرْ له وارحَمْه، وعافِهِ واعْفُ عنه، وأَكْرِمْ نُزُلَه، وَوَسِّعْ مُدخَلَه، واغسِلْه بالماء والثلج والبَرَد، وَنَقِّهِ من الذنوب والخطايا كما نَقَّيْتَ الثوبَ الأبيض من الدَّنَس، وأبدِلْه دارًا خيرًا من داره، وأهلًا خيرًا من أهله، وزوجًا خيرًا من زوجه، وأدخله الجنة، وأَعِذْهُ من عذاب القبر**» قال: حتىٰ تمنَّيتُ أن أكون أنا ذلك الميت لدعاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وفي لفظٍ: «**وَقِهِ فتنةَ القبر وعذابَ النار**».

وفي «سنن أبي داود»[(٢)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: صلىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ جنازة فقال: «**اللهم اغفر لحيِّنا وميِّتنا، وشاهِدِنا وغائبِنا، وصغيرِنا وكبيرِنا، وذكرِنا وأنثانا، اللهم مَن أحييتَه منَّا فَأَحْيِهِ علىٰ الإسلام، ومن توفَّيتَه منا فَتَوفَّهُ علىٰ الإيمان، اللهم لا تَحرِمْنا أجرَه، ولا تُضِلَّنا بعدَه**».



الفصل الرابع والستون

ص٣٨٧

في الذكر إذا قال هُجْرًا، أو جرى على لسانه ما يُسخِط ربَّه عَزَّوَجَلَّ

ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**من حلف منكم فقال في حلفه: واللَّات**

---

(١) برقم (٩٦٣).

(٢) برقم (٣٢٠١)، وأخرجه أيضًا الترمذي (١٠٢٤)، وهو ضعيف. انظر: «علل الدارقطني» (٤/ ٢٧٠- ٢٧٢).

والعُزَّىٰ! فليقُل: لا إله إلا الله. ومن قال لصاحبه: تعالَ أُقامِرْكَ. فليتصَدَّقْ»[(١)].

وقال مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حلفتُ باللَّاتِ والعُزَّىٰ، وكان العهد قريبًا، فذكرت ذلك للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**قد قلتَ هُجْرًا، قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وانفُثْ عن يسارك سبعًا، ولا تَعُدْ**»[(٢)].

❊❊❊❊❊

ص٣٨٩

الفصل الخامس والستون

فيما يقول من اغتاب أخاه المسلم

يُذْكَر عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أن كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبتَه، تقول:** «**اللهم اغفر لنا وله**» ذكره البيهقي في «الدعوات الكبير»[(٣)] وقال: في إسناده ضعف.

❊❊❊❊❊

ص٣٩١

الفصل السادس والستون

فيما يُقال ويُفْعَل عند كسوف الشمس وخسوف القمر

في «الصحيحين»[(٤)] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن الشمسَ والقمرَ لا يَخْسِفان لموت أحدٍ ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فادعوا اللهَ وكبِّروا وتصدَّقوا**».

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٧٩)، ومسلم (١٦٤٧).
(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٠٩٧)، وصححه ابن حبان (٤٣٦٤). و«هُجرًا» أي: كلامًا قبيحًا.
(٣) (٢/ ٢٩٤).
(٤) البخاري (٩٩٧)، ومسلم (٩٠١).

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر في الكسوف بالصلاة، والعَتاقة، والمبادرة إلىٰ ذكر الله تعالىٰ، والصدقة، فإن هذه الأمور تدفع أسبابَ البلاء.

❋❋❋❋❋

الفصل السابع والستون

ص٣٩٢

فيما يقول من ضاع له شيءٌ ويدعو به

ذكر علي بن المَدِيني، عن سفيان، عن ابن عجلان، عن عمر بن كثير بن أفلح قال: كان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول للرجل إذا أضل شيئًا: قل: «**اللهم ربَّ الضَّالَّةِ، هاديَ الضَّالَّة، تهدي مِن الضلالة، رُدَّ عَلَيَّ ضَالَّتي بقُدرتك وسُلطانك، فإنها من عطائِك وفضلِك**»[١].

❋❋❋❋❋

الفصل الثامن والستون

ص٣٩٤

في عقد التسبيح بالأصابع وأنه أفضل من السُّبْحة

روت يُسَيْرة إحدىٰ المهاجرات رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عليكنَّ بالتسبيح والتهليل والتقديس، ولا تغفُلْن فتَنْسَينَ الرحمةَ، واعْقِدْنَ بالأنامل فإنهنَّ مسؤولاتٌ ومُسْتَنْطَقات**»[٢].

❋❋❋❋❋

---

(١) أخرجه البيهقي في «الدعوات الكبير» (٢/ ٢٧٢) بإسناد رجاله ثقات.

(٢) أخرجه أبو داود (١٥٠١) والترمذي (٣٥٨٣)، وصححه ابن حبان (٨٤٢).

ص٣٩٥

الفصل التاسع والستون

في أحب الكلام إلى الله عَزَّوَجَلَّ بعد القرآن

ثبت في «صحيح مسلم»(١) عن سمُرَة بن جُندَب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أحبُّ الكلام إلىٰ الله تعالىٰ أربعٌ، لا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**».

وفي أثر آخر: «**أفضل الكلام ما اصطفىٰ الله لملائكته: سبحان الله وبحمده**»(٢).

وفي «الصحيحين»(٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كلمتان خفيفتان علىٰ اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلىٰ الرحمن: سبحان الله وبحمده، وسبحان الله العظيم**».

❖❖❖❖❖

الفصل السبعون

ص٣٩٧

في الذِّكرِ المُضَاعَف

في «صحيح مسلم»(٤) عن جويريةَ أمِّ المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج من عندها بُكْرةً حين صلىٰ الصبح، وهي في مسجدها، ثم رجع بعدما أضحىٰ وهي جالسة، فقال: «**ما زِلْتِ علىٰ الحال التي فارقتُكِ عليها؟**» قالت: نعم. فقال النبي

(١) برقم (٢١٣٧).
(٢) أخرجه مسلم (٢٧٣١).
(٣) البخاري (٦٠٤٣)، ومسلم (٢٦٩٤).
(٤) برقم (٢٧٢٦).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لقد قلتُ بعدك أربعَ كلماتٍ ثلاثَ مراتٍ، لو وُزِنَتْ بما قلتِ منذ اليوم لوزَنَتْهن: سبحان الله عددَ خلقِه، سبحان الله رِضا نفسِه، سبحان الله زِنَةِ عرشِه، سبحان الله مِدادَ كلماته**».

❊❊❊❊❊

الفصل الحادي والسبعون

ص٣٩٨

فيما يُقال لمن حصل له وَحْشَة

روِّينا في «معجم الطبراني»[1] عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رجلاً اشتكىٰ إلىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الوَحْشَة، فقال: «**قل: سبحان اللهِ الملكِ القُدُّوس، ربِّ الملائكة والروح، جَلَّلْتَ السماواتِ والأرضَ بالعزَّةِ والجبروت**» فقالها الرجل فأذهب الله عنه الوَحْشَة.

❊❊❊❊❊

الفصل الثاني والسبعون

ص٣٩٩

في الذكر الذي يقوله أو يُقال له إذا لبس ثوبًا جديدًا

عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من لبس ثوبًا فقال: (الحمد لله الذي كساني هذا ورزقَنِيه من غير حولٍ مني ولا قوة) غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر**»[2].

---

(١) (٢/ ٢٤)، وضعفه ابن حجر كما في «الفتوحات الربانية» (٤/ ٣١).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٠١٩)، والترمذي (٣٤٥٨) وحسّنه.

ص٤٠٠

الفصل الثالث والسبعون

فيما يُقال عند رؤية الفجر

روىٰ ابنُ وهبٍ، عن سليمان بن بلال، عن سهل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا كان في سفر فبدا له الفجرُ قال: «**سَمَّع سامِعٌ بحمد الله ونعمتِه وحُسْنِ بلائه علينا، رَبَّنا صَاحِبْنا فأَفْضِلْ علينا، عائذًا بالله من النار**» يقول ذلك ثلاثَ مراتٍ، ويرفع بها صوته. هذا إسناد صحيح علىٰ شرط مسلم[1].

❁❁❁❁❁

الفصل الرابع والسبعون

ص٤٠١

في التسليم للقضاء والقدر، بعد بذل الجهد في تعاطي ما أُمِر به من الأسباب

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[آل عمران: ١٥٦].

وقال أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**المؤمن القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلىٰ الله من المؤمن الضعيف، وفي كُلٍّ خير، احرِصْ علىٰ ما ينفعك، واستَعِنْ بالله، ولا تَعْجِز، وإن أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أني فعلتُ كذا كان كذا وكذا! ولكن قل: قَدَرُ اللهِ**

---

(١) أخرجه الحاكم (١/ ٤٤٦)، وهو في «صحيح مسلم» (٢٧١٨) دون زيادة: «ثلاث مرات، ويرفع بها صوته».

وما شاء فعل. فإنَّ (لو) تفتحُ عملَ الشيطان» رواه مسلم[(١)].

الفصل الخامس والسبعون

ص٤٠٣

في جوامع من أدعية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتعوُّذاته لا غنى للمرء عنها

قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: **كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ الجوامِعَ من الدعاء ويَدَعُ ما بين ذلك**[(٢)].

وفي «مسند الإمام أحمد» و«سنن النسائي»[(٣)] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان من دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«ربِّ أَعِنِّي ولا تُعِنْ عليَّ، وانصُرْني ولا تنصر عليَّ، وامكُرْ لي ولا تمكر عليَّ، وانصرني على من بغى عليَّ، ربِّ اجعلني لك شكَّارًا، لك ذكَّارًا، لك رهَّابًا، لك مُخْبِتًا، إليك أوَّاهًا منيبًا، ربِّ تَقَبَّلْ توبتي، واغسِل حَوْبتي، وأجِب دَعْوَتي، وثَبِّتْ حُجَّتي، واهْدِ قلبي، وسدِّد لساني، واسْلُلْ سخيمة قلبي»** هذا حديث صحيح.

وفي «الصحيحين»[(٤)] من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت أخدم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكنت أسمعه يكثر أن يقول: **«اللهم إني أعوذ بك من الهَمِّ والحَزَنِ، والعَجْزِ والكَسَلِ، والبُخْلِ والجُبْنِ، وضَلَع الدَّيْنِ وغلبة الرجال»**.

---

(١) برقم (٢٦٦٤).

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٨٢)، وصححه ابن حبان (٨٦٧).

(٣) أحمد (١/ ٦٠٤)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٦٠٧)، وأخرجه أيضًا أبو داود (١٥١٠)، والترمذي (٣٥٥١)، وابن ماجه (٣٨٣٠)، وصححه الترمذي، وابن حبان (٩٤٧).

(٤) البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٧٠٦).

وفي «صحيح مسلم»[(١)] عن زيد بن أرقم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من العَجْزِ والكَسَلِ، والجُبْنِ والبُخْلِ، والهَرَمِ وعذاب القبر، اللهم آتِ نفسي تقواها، وَزَكِّها أنت خيرُ مَن زكاها، أنت وليُّها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من قلبٍ لا يخشع، ونفسٍ لا تشبع، وعلمٍ لا ينفع، ودعوةٍ لا يُستجاب لها**».

وفي «صحيح مسلم»[(٢)] عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان من دعاء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتَحَوُّلِ عافيتك، ومن فُجاءَة نقمتك، ومن جميعِ سَخَطك**».

وفي «الترمذي»[(٣)] عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: قلت: يا رسول الله، إن وافقتُ ليلةَ القدر ما أسأل؟ قال: «**قولي: اللهم إنك عفوٌّ تُحِبُّ العفوَ فاعفُ عنِّي**» قال الترمذي: حديث صحيح.

وفي «صحيح مسلم»[(٤)] عن أبي مالك الأَشْجَعِي عن أبيه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُ مَنْ أَسْلَمَ أن يقول: «**اللهم اهدني، وارزقني، وعافني، وارحمني**».

وفي «المسند»[(٥)] عن بُسر بن أرْطاة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) برقم (٢٧٢٢).

(٢) برقم (٢٧٣٩).

(٣) برقم (٣٥١٣) وصححه، وأخرجه أيضًا ابن ماجه (٣٨٥٠).

(٤) برقم (٢٦٩٧).

(٥) (٦/ ٥٦)، وصححه ابن حبان (٩٤٩).

يقول: «**اللهم أحسِنْ عاقبتَنا في الأمور كلِّها، وأَجِرْنا من خِزْيِ الدنيا وعذاب الآخرة**».

وفي «المسند» و«صحيح الحاكم»[١] عن شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي رسول الله: «**يا شداد، إذا رأيت الناس يَكْنِزُون الذهب والفضة، فَاكْنِزْ هؤلاء الكلمات: اللهم إني أسألك الثباتَ في الأمر، والعزيمةَ علىٰ الرُّشْد، وأسألك شكرَ نعمتِك، وحسنَ عبادتِك، وأسألك قلبًا سليمًا، ولسانًا صادقًا، وأسألك من خيرِ ما تعلم، وأعوذ بك من شرِّ ما تعلم، وأستغفرك لِما تعلم، إنك أنت علام الغيوب**».

وفي «صحيحه»[٢] أيضًا من حديث معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أبطأ عنَّا رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بصلاة الفجر حتىٰ كادت أن تدركنا الشمس، ثم خرج فصلىٰ بنا فخفَّفَ في صلاته، ثم انصرف فأقبل علينا بوجهه فقال: «**علىٰ مكانِكم، أُخْبِركم ما أبطأني عنكم اليوم: إني صَلَّيْتُ في ليلتي هذه ما شاء الله، ثم ملكَتْني عيني فنِمْتُ، فرأيتُ ربِّي** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **فألهمني أن قلت: اللهم إني أسألك الطيبات، وفعلَ الخيرات، وتركَ المنكرات، وحُبَّ المساكين، وأن تتوب عليَّ، وتغفرَ لي وترحَمَني، وإذا أردت في خلقك فتنةً فنجِّني إليك منها غيرَ مفتون، اللهم وأسألك حُبَّكَ، وَحُبَّ من يُحِبُّكَ، وحُبَّ عملٍ يُقَرِّبُنِي إلىٰ حُبِّك**» ثم أقبل علينا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**تَعَلَّموهن وادْرُسُوهن، فإنّهن حق**» ورواه الترمذي والطبراني وابن خزيمة[٣] وغيرهم بألفاظٍ أُخَر.

---

(١) أحمد (٥/ ٨٣٨)، والحاكم (١/ ٥٠٨)، وأخرجه أيضًا الترمذي (٣٤٠٧)، وصححه ابن حبان (١٩٧٤).

(٢) «مستدرك الحاكم» (١/ ٥٢١)، وأعلَّه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٥٤٥).

(٣) الترمذي (٣٢٣٥)، والطبراني في «الكبير» (٧/ ٣٧٦- ٣٧٧)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٥٤٠- ٥٤٢)، وصححه الترمذي ونقل عن البخاري تصحيحه له.

وفي «صحيح الحاكم»(١) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول: «**اللهم انفَعْني بما علَّمتَني، وعلِّمني ما يَنفعُني، وارزقني علمًا ينفعني**».

وفيه(٢) أيضًا عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمرها أن تدعو بهذا الدعاء: «**اللهم إني أسألك من الخير كُلِّه عاجلِه وآجلِه، ما علمتُ منه وما لم أعلَمْ، وأعوذ بك من الشرِّ كلِّه، عاجلِه وآجلِه، ما علمتُ منه وما لم أعلم، وأسألك الجنة وما قَرَّب إليه من قول أو عمل، وأعوذ بك من النار وما قَرَّبَ إليها من قول أو عمل، وأسألك من خير ما سألك منه عبدُك ورسولُك محمد** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وأعوذ بك من شر ما استعاذ بك منه عبدُك ورسولُك محمد** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وأسألك ما قضيتَ لي من أمرٍ أن تجعلَ عاقبتَه رَشَدًا**».

وفي «صحيح الحاكم»(٣) أيضًا عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان من دعاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهم إنا نسألك مُوجباتِ رحمتِك، وعزائمَ مغفرتِك، والسلامةَ من كلِّ إثمٍ، والغنيمةَ مِن كلِّ بِرٍّ، والفوزَ بالجنة، والنجاةَ من النار**».

وفي «صحيح الحاكم»(٤) أيضًا عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه لم يكن يجلس مجلسًا، كان عنده أحدٌ أو لم يكن، إلا قال: «**اللهم اغفِرْ لي ما قدَّمتُ وما أخَّرتُ، وما أسررتُ وما أعلنتُ، وما أسرفتُ، وما أنت أعلم به مني، اللهم ارزقني من طاعتك ما**

---

(١) (١/ ٥١٠).

(٢) «صحيح الحاكم» (١/ ٥٢١- ٥٢٢)، أخرجه أيضًا أحمد (٨/ ٢٤٠)، وابن ماجه (٣٨٤٦)، وصححه ابن حبان (٨٦٩).

(٣) (١/ ٥٢٥، ٥٣٤)، وسنده ضعيف جدًّا.

(٤) (١/ ٥٢٨)، وأخرجه أيضًا الترمذي (٣٥٠٢) وحسَّنه.

تَحُولُ به بيني وبين معصيتك، وارزقني من خشيتك ما تُبَلِّغني به رحمتَك، وارزقني من اليقين ما تُهَوِّنُ به عليَّ مصائبَ الدنيا، وبارك لي في سمعي وبصري، واجعلهما الوارثَ مني، اللهم اجعَلْ ثأري علىٰ من ظلَمَني، وانصُرْني علىٰ من عاداني، ولا تجعل الدنيا أكبرَ همِّي، ولا مبلغَ علمي، اللهم لا تُسَلِّطْ عَلَيَّ من لا يرحمني» فسئل عنهن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يختم بهن مجلسه.

والحمد لله رب العالمين حمدًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضىٰ، وكما ينبغي لكرم وجهه وعِزِّ جلاله، مِلْءَ سماواته، ومِلْءَ أرضه، ومِلْءَ ما بينهما، ومِلْءَ ما شاء من شيءٍ بعدُ، حمدًا لا ينقطع ولا يبيد ولا يفنىٰ، عددَ ما حَمِده الحامدون، وعدد ما غَفَل عن ذكره الغافلون.

وصلىٰ الله علىٰ خاتم أنبيائه ورسله، وخِيرته من بَرِيَّته، وأمينه علىٰ وحيه، وسفيره بينه وبين عباده، فاتحِ أبواب الهدىٰ، ومُخرِجِ الناس من الظلمات إلىٰ النور بإذن ربهم إلىٰ صراط العزيز الحميد، الذي بعثه للإيمان مناديًا، وإلىٰ الصراط المستقيم هاديًا، وإلىٰ جنات النعيم داعيًا، وبكل المعروف آمرًا، وعن كل منكر ناهيًا، فأحيا به القلوبَ بعد مماتها، وأنارها به بعد ظلماتها، وألَّف بينها بعد شَتاتها، فدعا إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ بصيرةٍ بالحكمة والموعظة الحسنة، وجاهَدَ في الله تعالىٰ حقَّ جهاده، حتىٰ عُبِد اللهُ وحده لا شريك له، وسارت دعوتُه سَيْرَ الشمس في الأقطار، وبلغ دينُه الذي ارتضاه لعباده ما بلغ الليل والنهار، وصلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ وملائكته وجميع خلقه عليه، كما عَرَّفَ بالله تعالىٰ ودعا إليه، وسلَّمَ تسليمًا.

فهرس الموضوعات





فهرس الفوائد

الفائدة	الصفحة	الأصل
إن الرجلين ليكونان في الصلاة الواحدة، وإن ما بينهما في الفضل كما بين السماء والأرض	٣٥	٤٤
الفرق بين الشُّحِّ والبخل	٤٧	٧٥
كما تدين تُدان، وَكُنْ كيف شئت؛ فإن الله تعالىٰ لك كما تكون أنت له ولعباده	٤٩	٨١
القلب يصدأ كما يصدأ النحاس والفضة وغيرهما، وجلاؤه بالذكر	٥٣	٩٢
قال ابن تيمية: إنّ في الدنيا جَنَّةً من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة	٥٩	١٠٩
الحسرة كلَّ الحسرة الاشتغالُ بمن لا يُجْدِي عليك الاشتغال به إلا فوت نصيبك وحظك من الله عَزَّوَجَلَّ		١١٢
في القلب خَلَّةً وفاقةً لا يَسُدُّها شيءٌ البتة إلا ذكر الله عَزَّوَجَلَّ	٦٤	١٥٥
الذكر يُعْطِي الذَّاكر قُوَّةً، حتىٰ إنه ليفعل مع الذكر ما لا يُطِيق فِعْلَه بدونه	٧٢	١٨٥
قال كعب: مَنْ أَكْثَر ذكر الله عَزَّوَجَلَّ برئ من النفاق	٧٥	١٩٥
أفضل الذكر ما تواطأ عليه القلب واللسان	٨٤	٢٢١